فالتر بنيامين

ذكرى التاريخ

محمد عبدالله الترهوني

محمد عبدالله الترهوني

فالتـــر بنيامين

مـــلاك التاريخ

لم يعرف العالم ناقدا له قوة أفكار والتر عن الفن و الأدب،والغريب أن يقول صديق عمره جرشوم شوليم :"على من أراد أن يفهم عبقرية بنيامين أن ينظر إلى لوحة ملاك التاريخ"،لا أدري كيف فهم بنيامين من هذه اللوحة أن النقد مهنة روحية،ولد فالتر في 15 يوليو 1892م لأسرة يهودية غنية تعيش في برلين،والده واسمه بنديكس كان تاجرا ولديه محل تحف وقطع فنية،كانت صحة والتر متدهورة طيلة فترة طفولته لهذا عاش وكأنه مسجون داخل البيت،لكنه خرج في نهاية الأمر ليتعرف على برلين و العالم،لبنيامين طريقة خاصة في التعرف على المدن،كان

يتسكع بحيوية في أرجاء المدينة ومعه الذكاء و القدرة على الإعجاب بكل التفاصيل،تم إرساله وهو في الثالثة عشرة من عمره إلى مدرسة داخلية في تورنغن،ودرس بعدها في جامعات ميونخ،فرايبورغ،برلين،وبيرن،كان الناطق باسم حركة الشباب الألماني،التسكع كان أحد اسباب أنضمام والتر بنيامين إلى هذه حركة،وهي حركة بدأت بعدد صغير من الشباب المحبين للمشي في الريف،و المهتمين بالطيور المهاجرة،شباب كرّس نفسه للطبيعة و العيش في الهواء الطلق،هذه الحركة انتشرت في جميع أنحاء ألمانيا،لكن و بعد التوسع الكبير للحركة أخذت أهدافها في التغير شيئا فشيئا،أخذت الحركة تتجه نحو المطالبة بالإصلاح الاكاديمي و الثقافي،وزاد من اهميتها انضمام طلبة الثانوية إليها،انضمامهم للحركة كان نوعا من مقاومة النظام الاستبدادي في المدارس الثانوية،مقاومة فرض الطاعة غير المشروطة،وقمع أي مبادرة فكرية،والدعوة لعبادة النظام،كانت الحركة وسيلة بنيامين للاحتجاج ضد الاسرة و المدرسة،ضد نظام التربية في ألمانيا بالكامل،كتب العديد من المقالات الحماسية في هذه الفترة باسماء مستعارة،كان أهم هذه المقالات مقال بعنوان "حياة الطلاب"،،لكن أهم ما خرج به بنيامين من هذه الفترة هو قوله:"لا يمكن تغيير الناس إلا إذا تغيرت ظروفهم"كانت طريقته الارتجالية و المكثفة في الحديث مصدر إعجاب الجميع به،هكذا كان انطباع صديق عمره جرشوم شوليم عنه وهو يستمع إليه أول مرة في خريف عام 1913م،ترك بنيامن الحركة بعد انتحار صديقه فريتز هينل و صديقته

ريكا سيليسون باستنشاق الغاز حتى الصباح في مكان اجتماع الحركة،وصلت رسالة لبنيامين في الصباح الباكر تقول:"ستجدنا هناك مطروحين في مكان اجتماعنا"،عندما دخل فالتر إلى المكان،وجد يد فريتز ممسكة بيد ريكا بحنان مفرط،جلس على مقعد قريب منهما وهو يشعر بخيانتهم له،بكى لساعات لأنه لم يكن مطروحا هناك بجانبهما،كان الانتحار بعد أربعة أيام من غزو ألمانيا لبلجيكا،كان الموت هو نوع الاعتراض الذي اختاره فريتز و ريكا على هذا الغزو،لم يتجاوز فالتر هذه الحادثة ابدا،كان لديه إيمان بأنه ترك روحه بجانب فريتز و ريكا في مكان الاجتماع،كان يتذكر بكل وضوح رحلته مع فريتز وبعض الأصدقاء إلى باريس،رحلة شبابية لمدة أسبوعين،كانت هذه الرحلة بالذات مصدر إلهام لعمل ضخم في المستقبل،تذكر كيف سخر منه فريتز لأنه لم يضاجع امرأة ابدا،وكيف جعله يختار عاهرة من الجهة المقابلة للفندق غصبا عنه،هذه الليلة التي قضها بنيامين مع عاهرة من الشارع غيرت مسار حياته،كان يظن أن الفكر هو مفتاح الأبواب كلها،لكنه اكتشف معها أن هناك نوعا من التسكع الجسدي أكثر أهمية من المشي في الغابات و بين التلال،كان جسد فريتز مطروحا على الأرض بجانب الحياة تماما،و صوت يصرخ داخل عقل فالتر:"ماذا لو كنا أقل رادكالية؟ماذا لو كنت أنا أقل حماسا؟هل كان جسد فريتز سيكون مطروحا هنا بجانب النهاية؟"،بعد هذه الحادثة قطع بنيامين صلته بالحركة و كل الأصدقاء فيها نهائيا.

شكل 1 لوحة ملاك التاريخ للفنان السويسري بول كلي – 1920

عام 1916م تعرف فالتر بنيامين في فيينا على دورا صوفي كيلنر،ابوها كان استاذا في جامعة فيينا ومتخصصا في شكسبير،كانت تقضي النهار مع بنيامين، وفي المساء يجلس بجانبها وهي تعزف على البيانو،شعرت دورا بارتباط عقلي وروحي مع بنيامين،وهو شعر بميل كبير تجاهها،كانت دورا تنتظر الطلاق من

الفيلسوف و الصحفي ماكس بولاك،وبمجرد حصولها على الطلاق تزوجها فالتر ،ويقال أنها كانت حامل بأبنه ستيفان قبل الزواج،دورا جميلة و أنيقة وطموحة وعملت بكل جهد كي تكون مثقفة وصالحة كزوجة له،لكن والتر رفض المشاغل اليومية للزواج،لم يعترف ابدا بالأعمال اليومية لرجل متزوج،كان يقضي معظم وقته في المقاهي،خاصة مقهى ويست أند القديم،ومقهى آخر للبوهيميين يجتمع فيه الكتّاب و الناشرين،كان بنيامين يكافح من أجل تأمين دخل ولو بسيط يمكن أن يدعم أسرته،لكن فشله في الوصول إلى إنجاز أكاديمي ورفض جامعة فرانكفورت إجازة اطروحته لما بعد الدكتوراة "أصل الدراما المأساوية الألمانية"،خلف له فراغ في جيبه و مرارة قاسية في القلب،الرفض كان لأسباب سياسية،أهمها سيطرة البرجوازية ومعاداة السامية على الأوساط الأكاديمية،خاصة جامعة فرانكفورت التي كان أساس تمويلها من الأرستقراطية و البرجوازية و بعض الشركات الكبيرة،الرفض جعله يبحث عن الدخل في مكان آخر وهو الصحافة و الكتابة للإذاعة المسموعة،دخلت لوحة "ملاك التاريخ" التي اشترها بألف مارك من هانزشولتز غاليري إلى بيته ومعها الكارثة،فبعد وصولها بقليل عادت النحاتة يولا كوهن وهي أخت الفريد كوهن صديق فالتر منذ الطفولة إلى برلين،كان فالتر قد تعرف عليها في هايدلبرج عام 1912م عندما كان يدرس الخط و الرموز القديمة في الكتابة اليدوية مع ماكس بولفر ،تمة دعوته لإجتماع في غرفتها الصغيرة خلف

الجامعة،وفي هذا الاجتماع تعرف بنيامين على الشاعر راينر ماريا ريلكه،ولم يرها بعد ذلك إلا بعد عودتها إلى برلين واستضافتها لفترة في بيته،يقول فالتر عن هذه الفترة:"يولا،ودورا،وأنا كنا نعزف هارموني جميل،العيش معا في بيت واحد يصنع المستحيل"،يولا فنانة تنتمي لمدرسة ستيفان جورج، صغيرة،وغريبة الأطوار،حتى شكلها كان غريبا،فقد كان لها رأسا كبيرا لا يتلائم وصغر حجم جسدها،كانت متحمسة لمساعدة فالتر على دراسة رواية غوته "التجاذب الإختياري"،وهذا الاسم مأخوذ من مصطلح كيميائي للعالم دي جوتييه،وهو من دشن مفهوما للعلاقات البشرية باعتبارها تفاعلات كيميائية،وشدد على أن العلاقات الإنسانية تحكمها قوى تجاذب وتنافر،وقع بنيامين في حبها،وهذا ما زاد من توتر علاقته بدورا،التي هي أيضا دخلت في علاقة مع صديق فالتر إرنست شون الموسيقار و الملحن وعالم الموسيقا،يقال أن فالتر لم يشعر بالغيرة،لكن الحقيقة أنه قد تحدث في مقال بعنوان"عن الحب ومسائل ذات صلة"،كيف أن الزواج لا يحمي الحب،وإذا مات الحب فالزواج مجرد ملاءه بيضاء ثقيلة مطروحة على جسده،لا أحد يهتم بما تحت الملاءه،لقد كان مفهوم الحب بالنسبة لبنيامين معقد جدا،فهو يرى أن الطريقة الوحيدة لمعرفة شخص ما هي أن تحبه بلا أمل،كان يرى في الكتب و الصور الفوتوغرافية ما لا يراه أي إنسان آخر،وبنفس الطريقة يرى في النساء ما لا يراه أي عاشق آخر،كانت العشيقة بالنسبة له تحقق مبدأ وجود المسافة،الحب من وجهة نظره ما هو إلا لعبة القرب و البعد،الانتظار جزء من الحب،الزواج يدمر

هذا الجزء بالذات،في وجود مثلث:زوج،زوجة،عشيقة،هناك ركن لا أحد ينتبه إليه،هو ما يحقق مفاهيم المتعة، الألم،المسافة،القرب،البعد،ويفتح الباب أمام الأكاذيب،العار،الذنب،وأمام الحقيقة،من وجهة نظر فالتر لا وجود لحقيقة معروفة،كما أنه لا وجود لمعرفة حقيقية،عليك ان تجرب،أن تتألم و انت تشعر بعدم قدرتك على إيقاف كيمياء التجاذب.

شكل 2 ديرا زوجة بنيامين 1917

منذ اللحظة التي نظر في فيها جيرهارد شوليم _الذي غير اسمه إلى جرشوم شوليم بعد هجرته إلى فلسطين عام 1925م_ إلى بنيامين وهو يلقي خطبته في حركة الشباب الألماني شعر أنه الصديق الذي يبحث عنه،جرشوم مواليد برلين عام 1897م،أصبح فيما بعد فيلسوفا و مؤرخا،ودارسا لأهم الاتجاهات الرئيسة في التصوف اليهودي وخاصة "القبالة"،كان جرشوم متحمسا للصهيونية و الهجرة إلى فلسطين،علاقة بنيامين بجرشوم لم تنقطع إلا فترة قصيرة بسبب علاقة بنيامين بالماركسية،كانت علاقة جرشوم ببنيامين مشبوهة و تشبه تماما علاقة ماكس برود بكافكا،فقد مارس جرشوم ضغطا كبيرا على بنيامين ليعتنق الأيديولوجيا الصهيونية ويهاجر إلى فلسطين،وهذا ما كان يفعله ماكس برود مع كافكا،كانت علاقة جرشوم بدورا زوجة بنيامين قوية جدا،وهذا ما جعل من رسائلها له مجرد شكوى لا نهاية لها من بنيامين،بينما الرسائل بينه وبين بنيامين كانت حديث ثقافي بإمتياز،حديث عن كانت و بنكاريه و شيلينغ وغيرهم،لم يقتنع بنيامين أبدا بفكرة الصهيونية،بل كان يصف الصهيونية بأنها أكبر صدمة في الكيان اليهودي،ولم يفهم مطلقا جدوى الهجرة إلى فلسطين،ولم تكن له ابدا علاقة وثيقة بالتقاليد اليهودية وقال عن هذه النقطة:"علاقتي باليهودية محصورة في علاقتي بجرشوم شوليم"،كان يطمح إلى أن يكون الناقد الأول في ألمانيا،و قد قال ذات مرة أمام جرشوم:"أنا بطل كناقد،لأن جزء من التنمية في بلادنا ألمانية هو نظرة ثاقبة في السياق الفكري الذي يؤطر حياة الناس"،لقد أراد بنيامين أن يكون كاتبا ألمانيا لا كاتبا يهوديا،وهذا نفسه كان

خيار كافكا،كان بنيامين يسعى إلى صداقة فلسفية،أو تحالف أخلاقي ينتج مفاهيما ووعيا جديدا،لكن جرشوم كان يعاني من وفرة في التقوى عديمة الفائدة،لم يكن فالتر بنيامين مهتما بشيء في هذه الفترة غير الخبرة و صنع حياة يومية نبيلة،لكن الحرب و الوضع المادي الميؤوس منه إضافة لموت وولف هينل أخو صديقه فريتز هينل جعل الحياة امتحان طويل وصعب،في هذه الفترة كتب مقالات عن الوضع الاقتصادي المنهار في ألمانيا،وكيفية البحث عن حلول للأزمة،ما يميز كتابات بنيامين الاقتصادية و السياسية أنها تتحدث عن آثار هذه الوضع و تأثر الناس بها،حتى قبل أن يكون ماركسيا،كان يكتب عن هذه الامور بطريقة ماركس نفسه.

في فرانكفورت سمع بنيامين عن عمل "دائرة فرنكفورت" من صديق له يدعى إيريش غوتكيند،وقد تم دعوته إلى أحد اجتماعاتها في قرية اسمها جيسن تابعة لمقاطعة شمالية،كان بنيامين مبهورا بعمل الدائرة أثناء الاجتماع،خاصة كلام مارتن بوبر،لم يلتزم بنيامين تجاه الدائرة بأي شيء،وخرج من الاجتماع وهو يفكر في الوظيفة الحقيقة للسياسة،عاد إلى فرانكفورت فوجد جرشوم شوليم في انتظاره،فقد وصل إلى المدينة بحثا عن بعض المخطوطات في مكتبة المدينة،كانت العلاقة به في هذه الفترة متوترة بسبب اراء بنيامين السياسية و وقوف شوليم الدائم إلى جانب دورا،ومشاكل عاصفة حول الهجرة إلى فلسطين،تعرف

بنيامين في فرانكفورت على ثيودور أدورنو الطالب في كلية الفلسفة وعلم الاجتماع عن طريق الصديق المشترك الكاتب و الصحفي سيغفريد كراكور،ترك بنيامين كل شيء في فرنكفورت وعاد إلى برلين بعد تصعيد كبير بين اليمين و اليسار،وهو التصعيد الذي قاد إلى ثورة العمال في ألمانيا،عاش هو ودورا وستيفان ثلاثة أشهر في بيت عائلته بسبب سوء أحوال الأسرة المادية،ثم انتقل هو وحده إلى غرفة في ميروتوستراس،بعد انتقاله بقليل قامت العصابات المعادية للسامية بالإعتداء على اليهود في مظاهرة بقيادة هتلر،و على الرغم من ردع المظاهرة وسجن هتلر إلا أن الكثير من أصدقاء بنيامين تركوا البلاد ورحلوا بعيدا،لكن بنيامين قال عندما طلب منه شوليم إنقاذ نفسه وعائلته و الهجرة إلى فلسطين:"إن من ينتمون إلى الشعب،هم من سيتحدث عندما يمر هذا الشعب بأفظع اللحظات"،في بداية عام 1924م باع جزءا من مكتبته و بعض النسخ من مقالته عن غوته و بمساعدة من دورا استطاع السفر إلى جزيرة كابري الإيطالية لمواصلة العمل على رسالة ما بعد التأهيل التي رفضت فيما بعد،كان الهدف هو إعادت بناء تفاصيل رحلة غوته إلى إيطاليا عام 1816–1817م،كانت الجزيرة ملاذ المثقفين من جميع أنحاء أوروبا،وفيهم من كان يمتلك فيها بيتا مثل جراهام جرين،ماكسيم غوركي،نورمان دوجلاس،كانت الجزيرة ساحرة بكل تفاصيلها،ومكان للراحة و العلاج،في هذا الوقت وليس بعيدا عن مكان إقامة بنيامين كان يسكن بيرت و ماريان بريخت وهما من عائلة برتولد بريخت،لكن الأهم من كل ذلك هو التعرف على "آسيا

لاسيس" التي كانت مع ابنتها داغا في رحلة استشفاء من إلتهاب خطير في صدرها،اللقاء مع آسيا كان نقطة التغيير في حياة بنيامين،تقول آسيا عن أول لقاء لها مع بنيامين:"كثيرا ما كنت أذهب مع داغا إلى السوق في ساحة الجزيرة،كان يوم أحد خرجت فيه لشراء لوز من متجر معين،لم أكن أعرف كلمة لوز باللغة الإيطالية،عبثا كنت أحاول إفهام البائع ما أريد،كان يقف بجانبي رجل محترم قال بأدب شديد:"هل لي أن أساعدك ياسيدتي"،قلت:"أرجوك أفعل"،تكلم مع البائع وخرجنا من المحل،حمل الكيس و نحن في طريقنا إلى الخارج وقال:"أنا الدكتور فالتر بنيامين"،نظرت إلى عيونه خلف النظرة الطبية التي تشبه المصابيح الأمامية لسيارة،شعره الكثيف و الداكن،أنفه الرقيق،كان شيئا ما أخرق في يديه لا أدري ما هو،وصل معي إلى البيت وطلب أن يزورني،اتضح فيما بعد أنه كان يراقبني أنا و داغا مدة أسبوعين منتظرا هذه الفرصة".

قبل اللقاء مع آسيا كان بنيامين مشغول جدا،كان يترجم رواية بلزاك "أورسول ميرويت"،ويقرأ كتاب لوكاش "التاريخ و الوعي الطبقي"،وبعد تفحص العدد الأول من مجلة "التصوير الفتوغرافي في الداخل" الذي كتب فيه تريستان تزارا مقالا عن فيلم للمخرج مان راي،أخذ بنيامين يعمل على تطوير صلاته مع الطليعة في حركة الدادا،لكن الوقوع في حب آسيا من أول نظرة اوقف كل شيء،بعث برسالة إلى جرشوم شوليم يقول فيها:"هل يجب أن أقول أني واقع في حب آسيا؟نعم أنا في

حالة ميؤوس منها،لا وجود لامرأة أكثر منها روعة،هي المرأة التي لم أقابلها في حياتي،لكن هذا كله ليس في صالحي أبدا،ولا في صالح عملي،أنا غير قادر على إيقاع الحياة البرجوازية،هناك مصاريف يومية،الحب مكلف بطريقة ما،مازلت انتظر أن يصلني بعض المال من بيع نسخ ترجمتي لديوان "بودلير"،لكن هذا لن يمنعني من الاستمرار في رؤية آسيا،لقد أحدثت زلزالا في فهمي لكل شيء،تحدثنا كثيرا عن الماركسية،وعن كتاب لوكاش الذي أعجبني كثيرا،إنها ملهمة بطريقة ما عندما تتحدث عن الثورة الروسية و المسرح البروليتاري،لا أدري ربما هي نهاية الطريق،ربما أتوقف عن العبث بحياتي"،كان رد جرشوم سريع جدا:"أنا قلق جدا من وجودك معها في تلك الجزيرة،أنا قلق جدا من حديثك عنها،و من كلماتك التي يفوح منها اهتمام جديد بالماركسية"،لكن رد بنيامين كان حاسما:"سبب اهتمامي الأول هو كتاب لوكاش و ليس آسيا،ولا أعتقد ان هناك وصاية من أحد على توجهاتي أو أفكاري"،الحقيقة التي لا تقبل الشك هي أن آسيا فتحت عيون بنيامين على الجانب الرومانسي من الماركسية،كان لها أسلوب جميل في حديثها عن لوكاش وكيف فجأة تحوّل من انتماءه الفضفاض للإشتراكية والإناركية إلى عضو مهم وفعال في الحزب الشيوعي المجري،وكيف خرج هاربا من المجر إلى فيينا بعد انتصار القوات التشيكية و الرومانية على الجيش الاحمر،في فيينا عمل على العديد من المقالات التي حاول فيها وضع أسس فلسفية للينينية،وكأنها أرادت أن تقول فالتر بنيامين أنت تقرأ هؤلاء،أما أنا فأعرفهم جيدا عن قرب،ولدت آسيا

لاسيس في لاتفيا عام 1891م في عائلة من الطبقة العاملة،والدها خياط بسيط من عامة الشعب،بسبب تفوقها تحصلت على منحة دراسية لدراسة علم النفس في معهد كوميزرجسكي للدراسات المسرحية،ثم ذهبت إلى روسيا لدراسة الدراما،وفي فترة دراستها تم الإطاحة بالقيصر،في عام 1920م كانت لاتفيا دولة مستقلة وكانت هي تدير ستوديو ومسرح لنشر رسالة الثورة الروسية وتزوجت من يوليوس لاسيس بضغط من أمها،كانت أمها تعاني من ضعف قلبها،رفضت آسيا طلب أمها إتمام الزواج في الكنيسة،لكن بعد أزمة أمها القلبية الحادة لم يكن أمامها حل إلا الرضوخ لها،آسيا شعرت مع يوليوس بالوحدة فتركته ورحلت،بعد التضييق عليها من المخابرات عام 1923م سافرت إلى برلين مع صديقها فريتز لانغ،وهناك تعرفت على الكاتب المسرحي و المخرج برينهارت رايش،من المشكوك فيه أن تكون آسيا قد أحبته لكنها تزوجته على أي حال،أخذها في رحلة إلى ميونخ وهناك تعرفت على إيروين دي بيسكاتور و برتولد بريخت الذي منحها دور صغير في مسرحية حياة إدوارد الثاني،دائما كانت تعتبر نفسها جنديا جيدا للثورة،وقد وجدت في بينامين أكبر انتصار قد تجلبه لهذه الثورة.

آسيا أحبت بنيامين إلى درجة أنها توقفت عن التفكير في كل شيء إلا فيه،سفر رايش إلى باريس للعمل هناك كان في وقته تماما،تركها مع داغا في كابري ورحل،كان بنيامين يجلس معها في مقهى هيدجيجي و ويتكلم كثيرا و يدخن

كثيرا و يفهم كثيرا،اكتشفت آسيا أن فكر بنيامين يحتاج إلى تأطير،لأن فكره كان ينمو و لكن بلا سياق حقيقي لهذا النمو،في كل مرة كان يدخل فيها الفراش معها كانت تعلمه كيف يكون الجسد هو مبدأ الأمل،كانت مجنونة و غريبة الأطوار وهذا ما يعشقه بنيامين في كل النساء،لم يقطع بنيامين علاقته مع يولا،و آسيا لم تكن علاقتها ببرتولد بريخت واضحة،كانت دورا و يولا في هذا الجانب،وبرينهارت رايش و بريخت في الجانب الآخر،مثلثات غريبة،يعمق وجودها الفكر لا الحساسية المفرطة أو العاطفة،كل شخص في هذه المثلثات يمشي خلف أثره،يبحث عن نفسه في الآخرين،كل علاقة هي محاولة لتفادي قدر الوحدة،الحب في هذه المثلثات ليس مجال التأسي على النفس أو الآخر،بل مجال للهدم و البناء و الإنجاز،الحب لا يعيش بعيدا عن رائحة الحياة بكل تناقضاتها و جنونها،في إسبارطة كان الطفل يترك في قمة جبل وحده،ليتعلم معنى العيش وحيدا،وعند نزوله إلى العالم مرة أخرى يكون الخوف قد تركه مرة و إلى الأبد،الحب عليه أن يبقى هناك في قمة المثلث ليعرف معنى الخوف و الفزع،وعندما ينزل سيجد ريحا منعشة في انتظاره،آسيا قوية و ضعيفة في نفس الوقت،الرومانسية تجعل الإنسان وحيدا مع نفسه،كأنه لا أحد يراه أو يسمعه،ثم تأتي لحظة تقول فيها لنفسك:هذا الشخص يراني ويسمعني،هو الوحيد القادر على النظر من ثقب الباب و اكتشافي،بنيامين اكتشف آسيا،وآسيا اكتشفت بنيامين في لحظة كان الزمن فيها شاردا في جلسته على الشاطئ،ربما بسبب هواء جزيرة كابري اليساري،فهذه الجزيرة

لطالما كانت مكان الثوريين و المناضلين،أسس فيها ماكسيم غوركي اكاديمية ثورية،ولينين نفسه قضى فيها وقت طويل،لكن في 16 سبتمبر زار الجزيرة الفاشي موسليني وسمم الهواء هناك،وصل معه 6 آلاف من العملاء السريين لحمايته،أصبحت رائحة الجزيرة كريهة تشبه رائحة الزيت الزنخ الذي يدهن به موسليني جسده،وأصبح عمل بنيامين يسير ببطء أكبر،ضجيج في الشوارع لا ينتهي ابدا،الليل نفسه تحول إلى حالة من الإزعاج المستمر،صحته أخذت في التدهور،الألم في معدته لا يتوقف،و لا مال في الأفق،قرر الانتقال إلى السكن وحده و ترك سكنه مع الأصدقاء،واختار ان تكون الغرفة في فيلا دانا،لتكون التكاليف أقل،ذهب مع آسيا و داغا لزيارة نابولي،وبعدها روما،كانت آسيا في حالة دهشة و ذهول أمام تعليقات بنيامين،واقترح عليها كتابة مقال عن نابولي معه،حاول أن يشرح لها كيف تحافظ المدن على أماكن الأغنياء و الفقراء،إنها جزء من نظام السيطرة،إنها مكان التطهير العرقي و الإستبعاد الاجتماعي،لم تسمع آسيا مثل هذه النظرة العميقة من قبل،نشر مقال بنيامين و آسيا في أغسطس 1925م في صحيفة فرانكفورت تسايتونغ التي عمل فيها فرانس مهرينج عام 1909م،وصل صديقه إرنست وليندا بلوخ فترك بنيامين الكتابة في اطروحة التأهيل و تجول معهما في الجزيرة،كانت هذه الرفقة مع إرنست بلوخ بداية لعلاقة جديدة،فقد كانت علاقة بنيامين به متوترة،ربما بسبب تأثير الميولات السياسية

الجديدة التي عرفها بنيامين،كانت الأيام الأخيرة على الجزيرة مليئة بالجلسات الثقافية و معرفة اشخاص جدد،قرر العودة إلى برلين بعد أن زار روما و فلورنسا و بيروجيا وأورفيتو وأسيزي، ركز في هذه الرحلة على المعالم الآثارية خاصة المتاحف و الكاتدرائيات،كان حزين بسبب الوحدة و أزدحام الشوارع بمظاهرات الشباب الفاشي و الميليشيات الفاشية،رحلت آسيا ومعها داغا،لا يعرف كيف أو متى سيرهما مرة أخرى،و العودة إلى برلين يعني العودة إلى العراك وسماع نحيب دورا،خاصة وأن جرشوم بلغها في رسالة طويلة بخوفه من تأثير آسيا عليه،عاد بنيامين إلى برلين ومعه الشوق و الحنين و وجه آسيا.

شكل 3 ولا كوهن وزوجها جوزيف روث

عندما وصل بنيامين إلى برلين كان تغيرا في مزاجه و معتقداته و أفكاره قد حدث،أراد أن ينتهي من أطروحته بأسرع وقت،أتفق مع سيدة محترفة في طباعة مثل هذه الرسائل،كان مشغولا بالعلاقة بين الأسطورة و الكلمة و الصورة،وعلاقة الصورة و الرمز بالمأساة الكلاسيكية،في هذه الفترة المشبعة بالملل تابع منشورات السريالية،خاصة فاليري الذي لفت نظره إلى مسائل نقدية جديدة،أعطاه أخوه جورج الشيوعي المتهور الترجمة الألمانية لكتب لينين،في شهر أكتوبر وصلت آسيا مع داغا و رايش إلى برلين قادمة من ميونخ،كانت هناك لقاءات متوترة بين العائلتين،لكن بنيامين عمل بكل حرص على أن تكون علاقة داغا و ستيفان جيدة،و لم ينسى طبعا أن يأخذ آسيا في نزهات طويلة لتعرف برلين من خلاله هو،كانت آسيا حريصة على اللقاء مع جورج أخوه،لكن بنيامين ترك بعض الأمور العائلية خارج علاقته بها،أما هي فقد عرفته على برتولد بريخت وقد كانت تعمل مديرة لمسرحه في هذه الفترة،إلا أن اللقاء كان خيبت أمل كبيرة للجميع،ربما يعود السبب لمعرفة بنيامين أن بريخت حرص على عدم اللقاء به في كابري،كان هذا اللقاء في نوفمبر 1924م،وبعد ثواني من اللقاء شعر الجميع ببرودة الاجتماع،كانت آسيا تعلق آمال كبيرة على هذه اللقاء بين الرجلين،لكن الحقيقة هي أن بريخت كان يغار من بنيامين و ينظر إليه كبورجوازي رجعي،كانت هذه الفترة وما بعدها مشحونة بالمشاكل داخل مجموعة الكتاب اليساريين،كان جزءا

منهم يطالب بالوضوح،المقصود هو أن يكون التضامن مع البروليتاريا واضحا من خلال كتاباتهم و أعمالهم الفنية،واتهموا اليساريين من الطبقة البرجوازية بأنهم فئران تعود إلى جحورها إذا تعلق الأمر بالحياة اليومية،بنيامين أحد هؤلاء المثقفين الذين لم يتغير نمط حياتهم حتى بعد أن أصبح يساريا بكل ما لهذه الكلمة من معنى،لكن بالنسبة لشخص مثل بنيامين أو إنجلز المواقف الفكرية لا تغير شيء في الحياة اليومية،بمعنى أن إخضاع الحياة اليومية لموقفنا الفكرية يجعل من هذه المواقف عقائد خالصة،وهذا قد يكون أحد أسباب برود لقاء بنيامين و بريخت،وكالعادة كان بنيامين يعيش على معونة من اسرته،ويعاني مشاكل مادية وقد ذكر ذلك في رسالة إلى جرشوم،ذكر في الرسالة أنه يحاول نشر مقاله عن رواية غوته "التجاذب الاختياري"،و كتابه "شارع ذو اتجاه واحد"،وأنه يعمل على ترجمة بروست و قصيدة كتبها جون بيرس في الصين بعنوان:"أناباسيس"،لكن ظهرت بوادر الإنفراج مع طلب من مجلة عالم الأدب الألماني لنشر بعض المقالات له عن نظرية الفن الفرنسي،و عرض عليه إرنست شون العمل في محطة إذاعية في فرانكفورت،وهذه الإذاعة بالذات كان لها أهمية في عصر حكومة فايمر ،إلا أن بنيامين كان مشغولا من الناحية الفكرية بأمور أخرى،ومشغول بآسيا أكثر من انشغاله بالبحث عن المال.

شكل 4 اسيا لاسيس 1915

في 12 مارس 1925م قدم بنيامين أطروحته للتأهيل،كانت هناك أسباب كثيرة لفشله،لكن أهمها هو أن بنيامين مثل ماركس لم يكن يكتب للعصر الذي عاش فيه،تذكر في هذا اليوم كيف كان جسد صديقه فريتز هينل مطروحا على الأرض،تذكر وجه صديقه البريء وهو يقول له في أحد شوارع باريس:"الجامعة يا صديقي ليست المكان المناسب للدراسة،هنا المكان المناسب صدقني"،كانت كتابات بنيامين مستقبليه،كانت أفكاره تأتي من خارج ذلك العصر ،لقد كانت كتاباته خالصة من شوائب الفكر الخاص بعصره،لم يكن حزن بنيامين بسبب فشل أطروحته عميقا،بل كان شعوره بالخيانة عميقا،كان مدركا لعدم مرور أطروحته بعد أن طلب منه شولتز سحبها،لكنه أراد أن ينتهي من فكرة العمل الأكاديمي،وكانت ردة فعله الإنكباب على دراسة الظاهراتية و النظرية المادية،وقرأ تروتسكي،وهذا الإنكباب لم يعجب دورا و لا جرشوم،بل كان دليلا بالنسبة لهما على وقوع بنيامين تحت تأثير آسيا،ولكي يخرج من كل هذه المشاكل ذهب إلى هامبورغ و ركب سفينة متجهة إلى جنوة و جزيرة إيبيزا الاسبانية،ومنها إلى برشلونة و إشبيلية،كان يريد الابتعاد عن فرانكفورت و برلين لم يعد قادرا على احتمال كل تلك التعقيدات في حياته،والركود القاتل في عملية النشر في ألمانيا،كتب رسالة إلى جرشوم وهو في طريقه إلى هامبورغ يخبره فيها بأنه سوف يذهب إلى روسيا و ينضم إلى الحزب بشكل رسمي،لقد كانت هذه ضربة قاسمة لمشروع جرشوم،الغريب أن بنيامين لم يفكر من قبل في النشاط السياسي،و انضمامه

لحركة الشباب الألماني كان على أساس انها حركة مدنية و اجتماعية،كان الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني على بعد خطوات منه،وحركة سبارتاكوس تعمل أمامه،لكنه لم يهتم ابدا بأن يكون عضوا في أي جماعة،أفكاره الأناركية جعلته يميل للعمل الفردي أو في جماعة صغيرة من الأصدقاء،وحتى في هذا الشأن كان بنيامين طليعيا أكثر من غيره،لكن آسيا بشخصيتها الملتزمة تمثل طرحا جديدا بالنسبة له،آسيا مثال على عدم فهم النظرية إلا بالتدريب،كانت مثال رائع وكامل البناء لثقافة جديدة في مجتمع الثوري،لقد كانت تجربتها الخاصة بالمسرح النفسي الخاص بالطفل ملهمة بشكل كبير بالنسبة له،وربما يعود قول بنيامين:"يجب أن نهتم بالتحليل النفسي للأشياء بدلا من الاهتمام بالتحليل النفسي للذات،لأن الأشياء لها طاقة تؤثر فينا بشكل كبير"،هو أحد مظاهر تأثير تجربة آسيا عليه،كان السفر بالنسبة لبنيامين هو تكريس لفكرة الفرار من ألمانيا،من تعب النضال من أجل المال،من عدم رضى الآخرين عنه،دورا و جرشوم و حتى أدورنو لم يكن راضيا عن علاقته ببريخت و أرنست بلوخ،الشخص الوحيد الراضي عنه قد سافر إلى ريغا عاصمة لاتفيا،ترك بنيامين كل هذا خلفه وجلس بين الأشجار في جزيرة إيبيزا يقرأ لوكريتيوس،كان تعداد سكان الجزيرة لا يزيد عن 700 شخص وربما عرفوا جميعا هذا الألماني الحزين بصورة استثنائية.

في نوفمبر 1925م كان بنيامين في طريقه إلى ريغا،كان شوقه إلى آسيا قد تحول إلى خدوش في قلبه،أن تكون في حياتك امرأة بسبب التجاذب الاختياري،بسبب معجزة صغيرة في عالم ينكر المعجزات،فهذا يعني أن عليك التخفيف من ألآمك أو تنهيها بطريقة وحشية،بنيامين كان يريد تخفيف الألم بهذه الزيارة المفاجأة،كل المدن التي زارها لا تبعد آسيا،بل تقربها،يرها في كل شيء،في هدوء إيبيزا،وزرقة البحر،و في كلمات لوكريتوس،قد تكون أطروحته قد فشلت،لكنه لا يريد لحبه أن يفشل،الطريق إلى ريغا تعني بالنسبة له أنه لا يخاف من الظهور أمامها،لا يخاف من حبه لها،عندما و صل إلى ريغا لم يذهب إليها مباشرة،تسكع كالعادة في شوارع المدينة،كل شيء في المدينة مرتبط بها بطريقة ما،كان يخمن أي شارع مشت فيه أكثر من غيره،أي مقهى هو مكانها المفضل،أين تجلس عندما تكون حزينة،من أي محل تشتري اللوز الذي تحبه،بهذه الطريقة كانت ريغا تتحول إلى حبيبته،كانت آسيا تعمل كمديرة لمسرح اتحاد النقابات اليسارية في ريغا،ولم تتوقع ابدا أن تراه يقف في غرفة الملابس يراقب حركتها وهو مبتسم،لم يعرف بنيامين من نظرتها إذا ما كانت سعيدة أو لا،وصل بنيامين قبل يوم واحد من أول عرض لمسرحية تقوم آسيا بتمثل دور فيها،كانت خائفة و مرتبكة بسبب وجوده وسط الجمهور،ناقد مثله،وخبير بالدراما، مرعب أن تظهر أمام من يحبك و أنت غير مستعد تماما لهذه المخاطرة،كان بنيامين مفتونا بها وهي تقف على خشبة المسرح بقبعتها السوداء و قميصها الأبيض،تقف تحت مظلة مع ممثل آخر

وتكلمه عن الحب تحت المطر،كان هذا كل ما يرغب فيه بنيامين،لا شيء آخر في ريغا يمكن يحدث هذا الإنتعاش في روحه،النظر إليها كان يلهم بنيامين و يعطيه مفتاح لسعادة غير متوقعة،كان يتجول معها في ريغا،اللغة كانت غريبة بالنسبة له،لكن في وجود آسيا كان يفهم كل شيء بشكل سهل،العالم نفسه يكون متعاطف أثناء وجودها معه،وهي كانت تنظر للطريقة التي يعامل بها داغا،كانت مبهورة بكم الحكايات التي يمكن أن يحكيها لها،وكيف يفسر لها الأشياء بطريقة تجعلها تبتسم،لفتت آسيا انتباه بنيامين لأهمية الأدب الخاص بالطفل،وأهمية فهم حالته النفسية،وكان من نتائج هذا الانتباه العديد من المقالات التي كتبها بنيامين،أول هذه المقالات كان في 16 اغسطس 1925م بعنوان:"مجموعة من أغاني الأطفال في فرانكفورت"،نشر هذا المقال في صحيفة فرانكفورتر تسايتونغ اليسارية،وهذه الصحيفة كانت معروفة بمعارضتها أيام الأمبراطورية الألمانية و سجن أغلب محرريها من 1871 إلى 1879م لرفضهم الكشف عن مصادر المقالات المكتوبة فيها،وبسبب هذه الحادثة اجتذبت الصحيفة كتاب مثل بريخت،ألفريد دوبلين،هيرمان هسه،وهاينريش و توماس مان،كان بنيامين يبحث عن أي فرصة للنشر و الحصول على بعض المال،خاصة و أن دورا لم تتوقف عن الشكوى لأصدقائه من سوء الأحوال المادية،في ديسمبر 1925م عاد إلى

برلين،لم يكن هناك الكثير ينتظره فيها،كانت برلين تشبه الملجأ المؤقت،لقد كانت الطمأنينة فيها حالة لا يمكن الوثوق فيها.

شكل 5 بنيامين وآسيا

كانت علاقة بنيامين وجرشوم سيئة جدا في هذه الفترة،غضب جرشوم من علاقة بنيامين بآسيا،ولم يرحمها حتى في مذكراته عن بنيامين،كان في كلام جرشوم عنها الكثير من المغالطات و الكذب،وزاد الأمر تعقيدا أخذ بنيامين من جرشوم المال أكثر من مرة للسفر إلى فلسطين و انفاقه على شراء الكتب و التحف و اللوحات،هذه الأمور جعلت جرشوم ييأس من فكرة سفر بنيامين،وهذا ما جعله هو يقرر السفر و يقطع علاقته ببرلين،أيضا علاقة دورا ببنيامين كانت عراك متواصل واتهامات لا نهاية لها،بالمقابل أصبحت علاقة بنيامين بابنه ستيفان أكثر حميمية،و فيها الكثير من المتعة،عرف ستيفان في هذه الفترة الكثير من الكتب و الحكايات و الألعاب من دول أجنبية،و الأهم من كل ذلك هو العلاقة الحميمة

التي نشأت بين فالتر بنيامين و أخوه جورج،فاتجاه فالتر نحو اليسار قرب المسافة بينهما،كان جورج متحصل على دكتوراة في الطب عام 1923م،وشخصية بارزة و مهمة في الحزب الشيوعي الألماني،وفي بداية عام 1926م تزوج جورج من هيلدا لانغ التي بدورها أصحبت شيوعية و انضمت للحزب الشيوعي الألماني،كان العرس بمثابة بداية لعلاقة فكرية و روحية جديدة بين فالتر و جورج،كان بنيامين في هذه الفترة يقرأ الكثير من الكتب و المقالات الماركسية،و الغريب أن كل مخطوطات كتب ماركس و إنجلز كانت في برلين إلا أن بنيامين لم يكن يعرف أي شيء عن هذه المخطوطات بسبب السرية التي كانت تحاط بها أوراق الرجلين،لكن الحدث الأهم بالنسبة لبنيامين كان ظهور المجلد الأول من ترجمة رودولف شوتلندر لرواية بروست التي كان يعمل على ترجمتها مع فرنتز هيسيل،كانت الترجمة سيئة جدا و فيها الكثير من الأخطاء،ولهذا طلب هيسيل من بنيامين الحضور إلى باريس في اسرع وقت لمناقشة الأمر،في 27 مارس 1926م اتجه بنيامين نحو باريس،وصف بنيامين اليوم الأول في باريس في رسالة أرسها إلى يولا التي أصبحت زوجة صديقه فريتز رادت بقوله:"تسكعت في شوارع باريس و جلست في مقهى دو دوم في مونتبرناس الحي البوهيمي الذي يجتمع فيه الكثير من المثقفين الروس،ثم ذهبت إلى ملهى ليلي"،في الصباح الباكر ذهب إلى مكتبة وجد فيها الكثير من الكتب الماركسية،وكان لديه الوقت للإطلاع على

مناقشات بوخارين و بوجدانوف حول البيلوجيا و وعلاقتها بالمادية،كان يجد العناية من عائلة هيسيل و قد أشار بنيامين إلى كرم زوجة هيسيل الصحفية هيلين جروند،وكان يلتقي كل ليلة بأرنست بلوخ،لقد وصف بنيامين الجو الحميم بين المثقفين المغتربين في فرنسا فقال:"هم رجال موجودين قسرا في خندق واحد،ليس أمامهم إلا الالتصاق كتفا إلى كتف في هذا الخندق و يعتمد فيه الواحد منهم على الآخر"،في هذه الرحلة سجل الكثير من الملاحظات عن باريس،ملاحظات سوف تكون هي خطاطة أهم عمل في حياة بنيامين،و وجد فرصة أخرى للنشر بعد لقاء مع ويلي هاس رئيس تحرير صحيفة عالم الأدب،هاس من يهود براغ،كان يجلس باستمرار مع فرانز كافكا و فرانز ويرفل في مقهى أركو في براغ،وهو من قام بتحرير رسائل كافكا إلى ميلينا،ومهتما بالتطور الأدبي في أوساط الكتَّاب اليهود،طلب هاس من بنيامين مقالات للتعريف بتطورات الثقافة الفرنسية،قرأ بنيامين في هذه الزيارة بيان السريالية و الكثير من مطبوعاتها و ركز على كتابات آرغون،أيضا فتح أرنست بلوخ أمامه فرصة للنشر في مجلة أي 10 التي أسسها آرثر لينينغ في نفس الوقت الذي كان فيه بنيامين في باريس،كانت المجلة مهتمة بالتصوير الفوتوغرافي وهو ما كان يطمح بنيامين للكتابة عنه ،الصورة و دورها في انتشار الأفكار الاستهلاكية في العلم الحديث.

بنيامين كان منهمكا تماما في باريس،تعرف على جان كوكتو في العرض الأول لعمله المثير للإهتمام "أورفييه"،و كان بين الحضور في محاضرة لبول

فاليري،وتعرف على بيير كلوسوسكي صديق باتاي،وعاش أيام وسط الحياة البرجوازية الباريسية،حضر جلسات ثقافية في صالون كومت دي بورتاليس،و تمت دعوته للإفطار مع الأميرة دي باسيانو في مطعم الريادة،كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها بنيامين الطبخ بشكل مباشر في وسط الغرفة مع عرض كل المواد التي سيتم وضعها على الموقد،كان بنيامين يشعر بالملل من كل هذه التفاصيل،ما كان مهما في هذه الفترة بالذات هو المراسلات بين بنيامين و سيغفريد كراكور ،هذه المراسلات كانت عبارة عن أعمالهما غير المنشورة،بدء هذه المراسلات كان بسبب مقال بعنوان"المشاعر المكانية"الذي نشره كراكور في فرانكفورتر تسايتونغ بتاريخ 15 مارس 1925م،هذا مقال فتح أفق واسع أمام بنيامين،تكلم كراكور في هذا المقال عن السفر و الرقص كوسيلة للتعامل مع ملل الحياة الحديثة،السفر هو تجربة نقية في فضاء أقل فتكا من الفضاء المألوف بالنسبة لنا،الفضاء المألوف يقضم حياتنا بشكل يومي دون أن نشعر،أما الرقص فهو فرصة للتأمل في إيقاع الزمن مقارنة بإيقاع الزمن الذي نعرفه في الحياة اليومية،لقد فتحت هذه المقالة الباب أمام بنيامين للغوص أكثر في تفاصيل الحياة اليومية،وهذا الغوص اكتشف من خلاله كيفية استكشاف روح السلعية،وتفكيك رموز الأزياء البرجوازية،كان في ثناء بنيامين على الحياة الحديثة سخرية مرّة،لقد أدرك بنيامين أن التجربة لها شكل،و العلاقة بين التجربة و الشكل هي مسألة مدى قدرة الناس على الاعتراف

بأنفسهم في الأشكال التي تتيحها لهم اللحظة التاريخية و الاجتماعية التي يعيشون فيها،إنها مسألة الطريقة التي تنعكس بها تجربتي الشخصية في الفضاء المنظم رسميا الذي يحيط بي،يلفت نظرنا بنيامين إلى أن جيل ذهب إلى المدرسة في عربات تجرها الخيول،تحت سماء مفتوحة و ملبدة بالغيوم،لم يتبقى له بعد فترة قصيرة جدا إلا السماء الملبدة بالغيوم،أما على الأرض فكان هناك سيل من الاختراعات المدمرة و الانفجارات المدوية،كيف يفهم هذا الجيل هذه النقلة الغريبة من خلال التجربة الشخصية،كان بنيامين الوحيد في عصره الذي اهتم بتجربة البحث عن الاحتياجات الضرورية داخل متاهة الرأسمالية،وهل هناك طريقة للتفاوض للإحساس بعالم حديث و متغير،لقد كان بنيامين في كآبة مستمرة بسبب هذه التجربة القاسية،لكن هذا لا يعني أنه لم يكن يضحك من كل شيء،كان يعرف جيدا الفرق بين الحزن،و السخرية،و الرصانة،ومن وجهة نظره كان الضحك تدمير لوهم الرأسمالية،السخرية القاسية و الضحك هي عمل تحرري،وتعبير عن الإهمال النهائي،يعتقد البعض أن الأسلوب الجاد في التفكير هو الأسلوب الوحيد القادر على الوصول إلى مضمون الحقيقة،لكن الضحك المروع هو الوحيد القادر على توجيه حزن الحقيقة إلى نفسه.

لم يرجع بنيامين إلى برلين إلا بعد رسالة من أخوه جورج يخبره فيها بوفاة والده،الرسالة بتاريخ 18 يوليو 1926م،بقي أسابيع في برلين ثم عاد إلى باريس،وكانت يولا كوهن موجودة هناك فخرج معها في رحالة إلى جنوب فرنسا،لم

تعرف يولا كيف تتعامل مع بنيامين،لقد كانت علاقة معقدة جدا،في مرسيليا كان معهم كراكور ،عاش الثلاثي أيام من المشي في الأزقة و صعود الدرج المتعرجة في الشوارع الخلفية،كانت يولا تقرأ له كما كانت تفعل دائما،وهو كان يخبرها عن نضج العلاقة بينهما بسبب السن و التاريخ الطويل،لم يعد هناك حاجة للحب،فالحب مثل الوشم لا يزيد و لا ينقص بسبب الزمن أو الأحداث،لكن التعود و الألفة تزيد مع الوقت،حدثها عن آسيا،عن المسرح،عن الحياة في ريغا،وهي حدثته عن صديقه رادت كزوج لفنانة،تحدث كراكور عن هذه الأيام في مقال له بعنوان "طائرتان"،كان بنيامين يأمل في أن تكون ترجمة بروست هي الطريق الذي يفتح أمامه الباب إلى الأوساط الثقافية الفرنسية،لكن الأمور كانت تسير ببطء و تعثر،وعندما عاد إلى برلين في أكتوبر كان حزينا،فعاد إلى القراءة بكثافة و قد وجد في رسائل لينين إلى غوركي الكثير من النقاط التي تستحق الاهتمام،وكتب مقالا عن ديوان ستيفان مالارميه "باقة من الأزهار"،وقد اشار إلى نظرة مالارميه المستقبلية للكتابة،و قد عاش بنيامين نفسه في هذا المستقبل الذي تحدث عنه مالارميه،الآلة الكاتبة كانت مساهمة كبيرة في نشر الكتابة،لكنها ليست خط اليد،من وجهة نظر بنيامين نحن لم نعد قادرين على أن نعطي الكتابة شكل الأثر الشخصي،حجم القلم،ضغط اليد على القلم و ما ينتج عنه من أثر شخصي كله ضاع،الكتابة سوف تأخذ شكل الآلة الكاتبة و ليس من كتبها،في 6 ديسمبر

1926م توجه بنيامين إلى موسكو،الرحلة كانت بتمويل من مجلة "داي كريتر"،المجلة برئاسة تحرير مارتن بوبر طلبت من بنيامين مقالات عن موسكو ما بعد الثورة،وافق بنيامين فورا لأن آسيا هناك و قد علم أنها تعاني من انهيار عصبي حاد،قبل الذهاب إلى المستشفى كانت هناك جلسة لابد منها بين بنيامين و رايش،الجلسة اختار لها رايش مقهى صغير و هادئ في شارع قريب من المصحة،لم يتوقع بنيامين أن يكون رايش بهذه الصراحة عندما يتحدث عن هذه العلاقة المثلثة التي رسمت آسيا خطوطها،عبر رايش عن حيرته بسبب علاقتها ببنيامين،و تمسك بنيامين بعلاقته بها بالرغم من كل الاحباطات التي عرفها معها خاصة في ريغا،كان رايش حائرا و مترددا،هل هو السبب وراء ما تعنيه آسيا؟أم أن وجود بنيامين في حياتها هو السبب؟لم يكن بنيامين قادرا على إعطاء رايش إجابة،كان متفهما لقلقه،لكن لا يشعر بالذنب،عندما دخل عليها في غرفتها كانت نائمة،ووجها منتفخ و عيونها ذابلة،مسك يدها،نظرت إليه و ابتسمت وقالت:"أنت هنا أيها الأحمق"،كانت هادئة جدا عكس ما توقع بنيامين،شعر بأن الانهيار قد انهكها جدا،و بأنها غير قادرة على الكلام،خرج من عندها حائرا هو أيضا،ما الذي حدث؟لماذا وصلت آسيا إلى هذه البقعة المعتمة؟كانت علاقته بها تشبه المشي على الجليد في شوارع موسكو المزدحمة،عليك أن تحافظ على التوازن الخاص بك و سط بياض لا يرحم،بياض يشبه الضوء المسبب للعمى.

موسكو مدينة مرهقة و منفرة هكذا و صفها بنيامين،الأيام في موسكو لم تكن تشبه الأيام في كابري،موسكو لم تكن صالحة لأيا من عاداته الشخصية،بنيامين عاش في غرف الفنادق و الشقق المستأجرة،و سافر إلى أماكن كثيرة،لدرجة أنه لم يبقى في سكن واحد لمدة ستة أشهر ،إلا أنه يمتلك بعض العادات التي لا يتخلى عنها،عادات غريبة بالنسبة لرجل يعيش في فوضى،كان حريصا على طقوسه اليومية وسط هذه الفوضى،اختيار ورق الكتابة مثلا،بنيامين كان يكتب فقط على الورق الذي يصله من صديقه الفريد كوهن و لا يكتب على غيره،وقت تدخين السيجارة،وقت شرب الشاي،شراء الكتب بثمن يعتبر كارثة مادية بالنسبة لاسرته،جمع الطوابع،جمع المقالات،جمع كل شيء في قوائم طويلة،قوائم ملاحظاته،قوائم اقتباساته،كل هذه الأشياء وجد أن عليه نسيانها في موسكو،كل ما كان يراه هو إعوجاج و تشوهات التجربة،الدولة انتشرت في كل مكان و لا مجال للحياة الخاصة،وقد عبر في رسالة إلى يولا كوهن عن شعوره بالخوف قائلا:"ربما تصبح روسيا مجتمع اشتراكي حقيقي،وربما تصبح شيئا آخر لا يعرف أحد ما هو أبدا"،انضم إلى منظمة الكتاب البروليتاريين،وقد وجد في نيكولاس باسشيس الصحفي و أبن قنصل النمسا في روسيا المترجم الخبير بكل شيء ،نيكولاس ولد في موسكو،وكانت لغته الروسية مثقفة جدا،كان يترجم لبنيامين كل الكلام أثناء حضور العروض المسرحية و الامسيات الأدبية،كان يجلس يوميا

في غرفة آسيا مع رايش،ويدخل الثلاثي في نقاشات طويلة حول كل شيء،أثناء لعب الدمينو أو شرب الشاي،صحة آسيا تحسنت كثيرا بعد إهتمام الرجلين بها،لهذا سمح لها الطبيب بالخروج في بعض الأيام،كنت تسير مع بنيامين في شوارع موسكو و تجلس معه في المقاهي،لم يعرف بنيامين كيف يمكنه التعامل مع آسيا المتقلبة،أحيانا يجدها ودودة و تظهر له الحب،وفي أحيان أخرى تكون قاسية و باردة،قريبة جدا في أوقات،و بعيدة عنه جدا في أوقات أخرى،لكنه أستغل وجوده معها في الغرفة وحده وقال لها:"أريد منكِ طفل،أريد أن أعيش معكِ على جزيرة فيها أنا و أنتِ و طفلين منكِ،أنا أحبكِ و لا أهتم بموضوع السعادة،أعرف أنها مع امرأة مثلك تشبه الماء الذي يتسرب من قطعة الأسفنج بمجرد الضعط عليها"،آسيا كانت حائرة،تحب بنيامين لكنها تدافع عن رايش بإظهار بعض الصلابة و القسوة تجاهه،وكانت سعيدة جدا بتحول العلاقة بين بينامين و رايش إلى علاقة حميمة جدا،لم تعد المنافسة على قلب آسيا تشغل الرجلين،هي وحدها واعية تماما بعذاب هذا المثلث العجيب،لم يجد بنيامين مع آسيا إلا الوقت الكافي للقبلات و العناق،لم تكن هناك أي فرصة للإنفراد بها بشكل تام،لكنه كان راضيا و مستمتعا بجوده بجانبها،لأن مثل هذا الحب هو عزاءنا الوحيد في عالم يموت فيه الجمال في كل لحظة،الوجود بجانب آسيا يعني التبرؤ من وحشية الشر ويعطي التجربة شكلها في الزمان و المكان.

في صباح أحد الأيام بينما كان بنيامين ينتظر آسيا و رايش و مشغولا بالتفكير في المعنى السياسي للخطاب التاريخي،والخطاب التاريخي بدون سياسة،دخلت آسيا وحدها إلى بهو الفندق،كانت مفاجأة سارة بالنسبة لبنيامين و فرصة لإعطائها الهداية التي جلبها لها و لداغا،بلوزات و بنطلونات و قبعة تناسب الجو في موسكو،كانت آسيا سعيدة بهذا اللقاء و قالت لبنيامين أنها جاءت وحدها لأن لديها ما تود قوله:"أنا أحبك أنت تعرف ذلك،لكن أنت لا تدرك مدى حرصي على رايش،و لم تستوعب مدى خطورة مرضي،هذه الأزمة قد تكون مرت الآن،لكنها ستعود من جديد في أي لحظة،في حالة الحب نحن خارج أنفسنا،خارج كل ما نعتقده أو نفهمه،أحبك لكن أريد المحافظة على رايش"،بنيامين أخبرها بأنه لا يريدها أن تقطع علاقتها برايش،لا يريد هو نفسه أن يخسر رايش لأي سبب،فهو جدير بالاحترام و الحب،و انه لم يأتي إلى موسكو ليسرقها من أحد،هذا الشعور قد وصل إلى رايش نفسه و لهذا لم يدخر جهدا في تعريف بنيامين على كل المسؤولين عن الثقافة في موسكو،و في أحد اللقاءات التي رتبها رايش طلب كارل راديك محرر الموسوعة السوفيتية العظمى من بنيامين كتابة الجزئية المتعلقة بغوته في الموسوعة،وجلس مع اولغا شقيقة تروتسكي الأب الحقيقي للثورة الروسية،كان اليهود هم قادة الثورة البلشفية منهم إستير فرومكين، ليون تروتسكي،فلاديمير لينين،إيما غولدمان،إدوارد برنشتاين،رفائيل ابراموفيتش،واليهود هم كتاب الثورة

ومنهم ألكسندر سولجنيتسين،مكسيم غوركي،وميخائيل بولغاكوف،و لهم حضور كبير في كل مجالات الحياة،كان الأدب و الموسيقى و الفنون التشكيلية و الفنون البصرية أغلبها تخرج من دائرة الفنانين اليهود،لقد نظر بنيامين إلى هذه المشاركة كتعبير عن الذات اليهودية،كان حضورهم القوي و المكثف يعمل ضد مقولة أن في الماركسية بذور لمعادة السامية،فهم اليهود أن الماركسية ليست الشيوعية،وأن الماركسية هي فك الارتباط التقليدي بين اليهود و الرأسمالية،ولهذا كانوا حريصين على أن يكونوا طليعة ماركسية غير شيوعية،كانت المصطلحات تتخذ شكلها النهائي في هذه الفترة،شيوعي لم تعد هي الكلمة التي كان يعرفها ماركس و إنجلز ،لقد أصبحت تعني شخص لديه برنامج عمل،إشتراكي تعني شخص له نظرة نقدية و تحليلة للطبيعة البشرية،ماركسي تعني شخص لا يعتبر الأفكار هي مكوّن الواقع،هذه فرضية أفقر بكثير من أن تكون هي الحقيقة،بنيامين نظر إلى هذه المشاركة كحل بعيد عن الصهيونية و اغتصاب أرض شعب آخر ،لكن التأويل الستاليني الرديء للماركسية حطم كل أمل في إبتعاد اليهود عن التراث المشترك مع الرأسمالية،كان هناك لقاء آخر هام مع ريزانوف و تحدث معه عن خطة النشر التي تم الاتفاق عليها مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني،كان هذا اللقاء قبل أشهر من إلغاء الحزب الاتفاق مع ريزانوف،وكانت أكبر صدمة عرفها بنيامين في موسكو هي اختيار 12 في المائة فقط للنشر من مقالته عن غوته في الموسوعة السوفيتية،و عرف أن كارل راديك قال عن مقالته:"متطرفة جدا و لا وجود لحديث

عن الصراع الطبقي فيها"،بعد تأثير الصدمة ضحك كثيرا هو و رايش و آسيا من هذه الكلمات،لقد كان اهتمام بنيامين بالثقافة الروسية عاطفي من ناحيتين،الأولى هي حبه لآسيا،و الثاني هو المساهمة اليهودية في الثورة البلشفية،كتب رسالة أخرى إلى يولا يخبرها فيها عن كيف يغطي التاجر بضائعهم بالصوف خوفا عليها،وعن جمال التطريز و الدانتيل،وعن جلوسه مع آسيا في المقهى وجها لوجه وكيف كانت تشرب مخفوق الكريمة،وكيف أخبرته هو و رايش عندما كانوا جميعا في غرفته في الفندق عن كيف كانت تقرأ كل كتب الأدب الرخيص،وكيف كانت تضع هذه الكتب تحت كتب المدرسة حتى لا تراها أمها،كانت أسيا مهتمة فقط بأهداف الثورة و لم تعد مهتمة بأي شيء له علاقة بلاتفيا أو ألمانيا،في جلسة معها في مطعم تركي يلبس العاملين فيه الطربوش و الهلال يزين كل شيء،عرف بنيامين أن الطبيب نصحها بالذهاب إلى مصحة في الغابة،و أن عليها أن تبتعد عن المدينة،لكنها لا تريد أن تكون وحيدة:"انا أخاف الوحدة،الأيام سهلة في وجودك،الوحدة تشبه طعم الجير في الفم".

لقد كان سفر بنيامين إلى روسيا نوعا من التضحية،تضحية وهمية الغرض منها هو التملك،لكن الاشمئزاز من هذه التضحية الوهمية هو تعقيم للحياة،غادر بنيامين روسيا في 1 فبراير 1927م،آسيا كانت معه و هو يضع حقائبه في الزلاجة،وقف أمامها ينتظر كلمة منها،وضعت أصابعها على شفتيه و قالت:"أنا

معك حيث تذهب"،يقول بنيامين عن هذه اللحظة:"تحركت الزلاجة،وقفت في وسط الشارع تلوح لي بيدها الجميلة،بكيت في اللحظة التي كنت أضع فيها حقيبتي على ركبتي"،قبل رحيله كان قد زار الكرملين،وكاتدرائية القديس باسيل،راقب الشوارع في كل الأوقات،مشى مع المتسولين،و الأطفال المشردين،و الباعة المتجولين،و جلس مع المخرج السينمائي الروسي آيزنشتاين مخرج فيلم "المدمرة بوتمكين"،اكتشف بنيامين في هذه الجلسة أن شابلن غير معروف في روسيا،شاهد عرض رقص باليه لإيغور سترافينسكي "بيتروشكا"،و أجرى حوارا صحفيا مع صحيفة يومية "فيشرنيايا موسكفا" بصفته خبيرا في الأدب و الفنون التشكيلية،وهو يفعل كل ذلك كان مشغولا بتجربة الحكومة البروليتارية وكيف يمكن أن تتخلص من وهم التسليع و الانقسام الطبقي الهرمي التقليدي،كان قد لاحظ بداية السياسة الستالينية في المجال الثقافي،وظهر أمامه بشكل فاضح أن الفن يعاني في مواجهة خطاب بوليسي صارم،ألغت هذه السياسة الحياة الخاصة،و الحياة العامة في معظمها أصبحت ذات طابع لاهوتي،اختفى التفكير الحر مع التجارة الحرة،كان موقف الكاتب و المثقف الروسي صعبا بسبب زيادة الرقابة عليه،نعم كل شيء يناقش بحرية،لكن هناك صوت مهيمن بشكل واضح،كل الكلام يتم تنقيحه بسهولة،الحقيقة كانت غائبة تماما،لاحظ أن كل ما يحدث في روسيا ليس بسبب التخطيط،بل بسبب الضغوط الخارجية و بسبب التحديات من خارج روسيا،قرر بنيامين عدم الإنضمام للحزب،بالنسبة لبنيامين الحياة العامة يجب أن تكون مغلفة بالحياة

الخاصة،لا يريد أن يتخلى عن عالمه الخاص لصالح الحزب،لا يستطيع التخلي عن عاداته و طقوسه لصالح أي شيء،كان الانتقال من النظام البلشفي اللينيني إلى عصر الستالينية المطلقة يطل برأسه في كل مجالات الحياة،وهذا ما كان بنيامين مرعوبا منه،و هذا ما جعله يتخذ القرار بأن يكون هامشيا،و بعيدا عن أماكن الضوء الباهر للثورة،من وجهة نظره كل وثيقة ثورية هي في نفس الوقت وثيقة همجية،الثورة فيها أبطال،فيها تضحية بالنفس،وفيها أيضا وحشية و إبعاد للمفكرين و المثقفين،كل منتصر لن يكون إلا سليل المنتصرين السابقين،المنتصر دائما يبحث عن الغنائم.

لم يكن بنيامين متشائما بطريقة دائرة فرنكفورت،كان متشائما بطريقته الخاصة،لديه شك في إمكانية الطليعة و مدى القدرة على تسخيرها لمشروع ثوري،الطليعة البرجوازية كانت تقدم ثقافة و فن بجودة عالية،و من الصعب إيجاد ثقافة و فن بديل بنفس المستوى و لا ينتمي في بعض جوانبه للطبقة البرجوازية،و لأن الطليعة البرجوازية لا تقدم أي تنازلات لذوق أو وعي الطبقة العاملة،فقد قرر بنيامين أن يكون هامشيا لكي يكون هو الطليعي القادر على فعل ذلك،كل ما كتبه بنيامين هو إجابة عن السؤال:"كيف نقدم فنا قريبا من الجماهير و لا يكون فنا هابطا"،بنيامين مفكرا أدبيا و يضع بتعمد حدودا بينه و بين الخطاب السياسي و الفلسفي،يجب أن لا نقرأ بنيامين حرفيا،يجب وضع أفكاره في سياق التجربة التي

قرر أن يخوضها هو وحده،كان بنيامين أقرب إلى الماركسية التقليدية،أقرب إلى ماركس و إنجلز و كاوتسكي،وبعيد عن ماركسية لينين و بليخانوف و تروتسكي و روزا لكسمبورغ،لم يراهن بنيامن أبدا على إمكانية الثورة،و في نفس الوقت لم يتنصل من التزامه المطلق بالاشتراكية،اليوتوبيا الماركسية للمجتمع البشري لا وجود لها في الماركسية التقليدية،لكنها وجدت تجسيدها في لينين و تروتسكي الذي كانت لديه شكوكه في نجاح هذه اليوتوبيا إلا أنه اتخذ قراره في اللحظة الأخيرة و أنضم إلى البلشفية و مشى في الطريق خلف لينين إلى نهايته،واقع الثورة ليس له علاقة باليوتوبيا،واقع الثورة له علاقة بلينين و المجانين على المتاريس،بالقتلة و المجرمين من كل نوع،لم يكن ماركس مع هذا الوضع الثوري،بل كان مع تعزيز السياسة الثورية،ما وجده بنيامين في لوحة ملاك التاريخ هو قدرة المؤرخ على إيجاد بارقة امل في الماضي،ونجد نفس الفكرة في رواية 1984 لجورج أورويل عندما يقول:"من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل"،لم يكن بنيامين مع الماركسية في شرق أوروبا و هي تذهب من الفلسفة إلى الاقتصاد و السياسة،و لا مع الماركسية في غرب أوروبا و هي تعيش في الاكاديميات و تذهب من الاقتصاد و السياسة إلى الفلسفة،بل كان يذهب مع ماركس من الأدب إلى السياسة و الاقتصاد و الفلسفة،لقد نظر بعين ثاقبة إلى أن الحرب القادمة ستكون إمبريالية من جانب التكنولوجيا،و النتيجة هي الدمار و البطالة و فرض وجود اسواق بالقوة،النتيجة هي إسقاط القنابل من الطائرات،بدل إسقاط البذور على الأرض

لإطعام الجائعين،كل ذلك فكر فيه بنيامين و هو في طريقه إلى برلين،عاش بنيامين شهرين هادئين في برلين،و في 1 أبريل 1927م أنطلق إلى فرنسا للعمل على مقالاته الخاصة بتطور الثقافة الفرنسية،وصل إلى مونت كارلو أولا وكسب فيها بعض المال من كزينوهات القمار،ثم اتجه إلى كورسيكا لمقبلة امرأة فرنسية كان على موعد سابق معها.

وصل بنيامين إلى باريس،تمكن أخيرا من العودة إلى غرفته في فندق دو ميدي،كان بنيامين يحب هذه الغرفة لأنها مكان التعاون الخلاق بينه و بين كراكور و بلوخ،كانت لديه أفكار و مشاريع كثيرة فطلب منه كراكور أن يستخدم الآلة الكاتبة،لكن بنيامين رفض التخلي عن قلم الحبر الأكثر سحرا بالنسبة له،قال لكراكور:"هذا القلم فيه حبر طازج يلبي رغبتي،يا صديقي في الكتابة اليدوية الكلمات تعبر ضفة جسدك رغما عنك،رغما عن عقلك،وجسدك،ويدك،تعبر إلى الورقة لتستكمل غيابك،لتستكمل طابع شخصيتك في اللغة،عدد قليل من الكلمات المكتوبة بخط يدك هي في الحقيقة تذكرة مجانية إلى مسرح العالم العظيم،لأن خط اليد هو الطبيعة الكاملة للوجود الإنساني،الكتابة اليدوية تحليل كامل لطابع شخصية الكاتب"،في 18 ديسمبر 1927م دخل بنيامين في أول تجربة له مع الحشيش تحت إشراف الأطباء إرنست جويل و فريتز فرانكل،كان بنيامين يريد من هذه التجربة الإحساس بالزمان و المكان بعد تدخين الحشيش،سجل بروتوكولات

و آثار هذه التجربة بكل تفاصيلها،و في فبراير 1928م ذهب إلى لقاء كان قد اتفق عليه مع أودورنو في كونيشتاين إم تاونوس،كانت جريتل كاربلوس صديقة أدورنو حاضرة في هذا اللقاء،وهي زوجة أدورنو فيما بعد،تم مناقشة بعض أمور دائرة فرنكفورت و زيارة بنيامين إلى موسكو،في نهاية أبريل توقف جرشوم شوليم و زوجته في باريس لبضعة أيام وهم في طريقهم إلى لندن،تجول بنيامين مع جرشوم و زوجته في أحياء باريس،وجلس معهم في مقاهي مونبارناس وهو يلبس ربطة عنك حمراء،وهذا ما أزعج جرشوم كثيرا،ناقش جرشوم مع بنيامين في موضوع الهجرة فلسطين مرة أخرى،كان قد تم إنشاء كلية جديدة مختصة بالعلوم الإنسانية في الجامعة العبرية في القدس،فعرض على بنيامين تدريس الأدب الفرنسي في هذه الكلية،لكن بنيامين كالعادة أخذ منه المال و لم يذهب إلى القدس،وقال لكراكور:"إن ما يطلبه خطير جدا،إنه ضد قناعاتي و أفكاري،وضد إنسانيتي،لن أنتمي إلى أفكاره،بل إلى أفكاري،أنا افكر بجدية في الاستقرار هنا في باريس"،رفض بنيامين هذا المرة أحدث قطيعة تامة بينه وبين جرشوم و لم يلتقي الرجلان مرة أخرى إلا في عام 1938م،بعد رحيل أسرة شوليم،وصلت دورا و ستيفان إلى باريس و ذهبت العائلة إلى الريفييرا،عاد إلى باريس و بدأ في قراءة رواية فلوبير"التربية العاطفية"،كان في البيت وحده يقرأ فلوبير عندما ظهرت أمامه فجأة باريس القديمة،ظهر أمامه لأول مرة خطة واضحة لـ "مشروع الممرات"،أسرع إلى المكتبة الوطنية وهناك طلب من باتاي كل كتاب أو مقال عن باريس،كرّس بنيامين كل

وقته لهذا المقال الذي تحول إلى أعظم ما كتب بنيامين،كان جلساته مع باتاي ملهمة،فقد كتب بنيامين في مقالة مهمة نقدا لمفهوم السياسة عند السرياليين،وجه فيه نقدا مباشرا لتأكيد السرياليين على أن المفهوم الجذري للحرية يعني الثورة،و لعدم ثقتهم في مصير الحرية و مصير الأدب،وعدم ثقتهم في إمكانية المصالحة بين الشعوب و الطبقات و الأفراد،كان تغييرا جذريا في رأي بنيامين الذي قال يوما ما:"السرياليين هم الوحيدين الذين فهموا التفسير المعاصر للبيان الشيوعي".

عاد بنيامين إلى برلين،لكنه بعد وقت قصير ابتعد لعدة أشهر عن منزل العائلة في قرية غرونيوالد،وكالعادة استأجر غرفة صغيرة في تيرغارتن محاطة بالخضرة من جميع الجهات،كان مشغولا بمشروع الممرات لكنه في حاجة إلى كتابة مقالات لتمويل هذا المشروع،بدأ في كتابة مقالته المعروفة جدا عن كافكا،لقد كشف بنيامين تخريب ماكس برود من خلال السيطرة اللاهوتية في كتابات كافكا،في حين أن كافكا هو تجسيد حقيقي لتمرد الأبناء على الأباء و الانسلاخ عن التقاليد اليهودية،و قصة كافكا رسالة إلى الوالد هي أفضل دليل على ذلك،ولنعرف طرافة موضوع مقال كافكا يجب النظر إلى تعليق جرشوم،أدورنو،بريخت على المقال،جرشوم يقول عن المقال :"لاهوتيا بما فيه الكفاية"،أودورنو يقول:"المقالة غائمة و يفترض أن تكون مضيئة أكثر"،بريخت قال:"مقالة فيها نقد قاسي و فيها تعزيز للفاشية اليهودية"،لكن بنيامين لم يكن يفكر في هذه التعليقات وهو يكتب،بل

كان مهتما بفضاء كافكا:"فضاء العزلة،فضاء الاكتئاب،فضاء المكاتب و السجلات، الغرف الرثة و المظلمة،إنه فضاء كافكا نفسه،تلك الغرفة التي لا يمكن الوصول إليه فيها،الرجال في المكاتب،أصحاب السلطة بتوقيعهم على الورقة بعد الورقة،هذا الذي يجلس كقاضي في المحاكمة،أو كسكرتير في القلعة،هؤلاء الذين يظهرون في كامل قوتهم،أحفاد أطلس الذين يحملون الكرة فوق أكتافهم،لكن الحقيقة هي أنهم لا يحملون العالم،بل مصلحتهم التي يجب أن يكون مكانها فوق الجميع"،كان بنيامين قد تحوّل إلى ناقد النصوص الضخمة و المعقدة،كان يكتب المقالات فقط لتمويل مشروع العمر،"مشروع الممرات"،قال عن هذا الكتاب:"هو مسرح كفاحي،وكل أفكاري"،آسيا حاضرة دائما في روح بنيامين،دائما كلمة المسرح موجودة،مسرح الحياة،مسرح العالم،مسرح كفاحي،كان يبعث إليها رسالة كل فترة يخبرها فيها عن حبه لها،و عن مشاريعه الكبيرة،عمل بنيامين على مشروع الممرات من عام 1927م إلى عام 1940م،وهو تقريبا نفس الوقت الذي أنجز فيه ماركس كتابه "رأس المال"،يستحضر بنيامين في مشروع الممرات الفهم الماركسي للتاريخ،كان الفن يسير في طريق فوق السوق،فوق النظريات،فوق ذوق الشعب،وهذا ما جعل بنيامين يعيد النظر في السريالية و في جدوى الفن،لقد جعل بنيامين مشروع الممرات في توازي مع كتاب ماركس رأس المال كاعتراض على ميول و طموحات الرأسمالية،في عام 1929م وصلت آسيا إلى برلين لتعمل في السفرة الروسية كممثل تجاري للأفلام الروسية في برلين،أخذها بنيامين معه إلى

دوسلدورف لتعيش معه شهرين في شقة واحدة،و في نفس الوقت بدأ في إجراءات الطلاق من دورا،بعثت دورا برسالة إلى جرشوم تقول فيها:"كل ذلك بسبب التسمم الجنسي الخاص به،إنه تحت تأثير آسيا،يريد الزواج منها لأن مدة إقامتها في برلين انتهت و لا يريدها أن تغادر برلين"،كان الطلاق مريرا و تبادل فيه بنيامين و دورا كل أنوع الاتهامات،و المفارقة العجيبة أن آسيا رفضت ترك رايش،وهذا ما جعل أيام دوسلدورف كلها عراك،كان بنيامين يريدها بكل قوة،وهي كانت تريده،لكن عدم قدرتها على أن تخذل رايش جعلها ترفض الانفصال عنه بكل قوة.

الحب عندما يصل إلى نهايته لا تفرق بين حياتك و أحزنك،آسيا رحلت مريضة إلى موسكو بعد قضاء عام كامل في برلين،لم يعد بنيامين إليها منذ تلك اللحظة التي رفضته فيها،لكن خلال هذا العام كانت العلاقة بين بنيامين و بريخت قد نضجت بما فيه الكفاية،لدى بنيامين نفس المشاعر و الانفعلات تجاه القضايا التي يهتم بها بريخت،لم ينسى بنيامين العواصف التي مر بها مع آسيا،لكن العواصف في حياته كانت أكبر بكثير،فبعد نهاية الطلاق لصالح زوجته،قرر القاضي أن يدفع بنيامين 40,000 مارك لزوجته،تنازل عن ميراثه لدورا و باع الكثير من كتبه لتسديد المبلغ،ركز أكثر في هذه الفترة على العمل الذي يجلب المال،الإذاعة كانت هي الحل في مثل هذه الحالات،ولحسن حظه لم يوافق أندريه جيد أثناء زيارته إلى برلين إلا على بنيامين لإجراء لقاء معه،استمرت المقابلة

ساعتين،وكتب بنيامين مقالتين عن أندريه جيد،و بعدها كتب سلسة من المقالات منها "التصنيف الفلسفي للألعاب"،وفي يوليو 1929م فر مع صديقه سابير إلى إيطاليا هربا من كل شيء،لقد أراد السفر بعيدا عن برلين،السفر يربط بنيامين بقوى الكون،و بسخرية يقول:"أنا لم أشاهد الشروق أو ظهور القمر،لم أنام تحت السماء و أستيقظ مع شروق الشمس في برلين"،في أغسطس و بعد أن خسر كل شيء في برلين ذهب للسكن مع فرانز هيسيل،وفي شهر أكتوبر بدأ في مشروع كتاب "الطفولة في برلين"،بدأ المشروع كبرنامج إذاعي يحكي عن برلين قديما و حديثا ثم تحوّل إلى كتاب،لم ينسى بنيامين حركة الشباب في برلين،وحرص هذه الحركة على البيئة و لفت النظر إلى التغييرات الكارثية التي تحدث،ركز في هذا البرنامج على الفرق بين الأماكن التي يزورها السواح،و أماكن سكن أهل برلين،عاد هيسيل إلى باريس ليكون مع زوجته، أما بنيامين فنطلق إلى فرنكفورت للقاء أودورنو و هوركهايمر،كنت لدى دائرة فرنكفورت رغبة كبيرة في الإطلاع على مسودات مشروع الممرات،و في ديسمبر عاد إلى باريس لإكمال مقالاته عن الثقافة الفرنسية لكنه لم يستطع البقاء طويلا،عاد إلى برلين و كتب مجموعة من البرامج الإذاعية،و ناقش مع شقيقه جورج الحياة في موسكو،و لكن برلين كانت موحشة لدرجة أنه ذهب إلى هامبورغ و أنطلق في رحلة إلى بحر الشمال و الدائرة القطبية و صولا إلى فنلندا،كانت هذه الرحلة في يوليو 1930م،بعث في بطاقة بريدية ليولا:"بمجرد الخروج من برلين،يصبح العالم جميلا و رحبا"،في برلين كان بلا مأوى،بلا مال

أو عائلة،كان التشرد هو أفضل طريقة للهروب من كل شيء،التشرد المتسامي كما يسميه لوكاش هو طريقة للملمة الجراح و إيقاف النزيف،كتب بنيامين كل مقطع من الرحلة بشكل مذهل،كان بنيامين قادرا على جمع ملامح التاريخ الثقافي لأي مكان،من الشوارع و الغابات و الجلوس مع الفقراء،من عتبات المنازل التي تجلس عليها النساء،في أغسطس توقفت السفينة في مدينة سوبوت البولندية الواقعة على بحر البلطيق،من هناك صعد معه يولا كوهن و زوجها فريتز رادت،كان هذا اللقاء مصدر سعادة كبيرة لبنيامين،وعندما عاد إلى برلين أقام مع فنان يدعى إيفا بوي.

بعد عودته كان نشيطا جدا،كتب العديد من المقالات الهامة،منها "نظريات الفاشية الألمانية"، "الجناح اليساري الحزين"،وكان هناك اتفاق على إصدار صحيفة اسمها "النقد و الأزمات"يشرف على تحريرها هو و بريخت،الصحيفة تقوم على أرضية النضال الطبقي،و توفير مساحة للمثقف البرجوازي للمساهمة في فكر اليسار،بنيامين لديه قناعة بأن المثقف البرجوازي قادر على منح الفكر الماركسي التجديد اللازم،هو نفسه أكد أن فكره لم يكن من صفحات الكتيبات الشيوعية،بل من أفضل الدراسات البرجوازية في التاريخ الأدبي و النقد،على مدى السنوات العشرين الماضية،فكره لم يكن مسخرا للأفكار الأبدية،أو القيم الخالدة،ما يهم بنيامين هو الواقع،و التفاصيل اليومية،وقد وجد في أفكار ماركس هذه النزعة

للتفكير في الواقع و كيفية فضحه و تغييره،كان هناك صعود لموجة معاداة السامية و معاداة الماركسية و معاداة حتى الرأسمالية،كان صعود الفاشية مرتبط بصعود المطالبة بالعودة إلى القيم الجرمانية القديمة،صحيفة النقد و الأزمات وضعت نفسها في مواجهة هذه الموجة،لقد كانت حربا أهلية فكرية بأتم معنى الكلمة،في 2 نوفمبر 1930م توفيت والدة بنيامين،عاد إلى البيت و لـ 2000 كتاب في مكتبته و الكثير من الأسطوانات الموسيقية،في هذه الأيام كان يعمل لدى دار نشر روهلت كقارئ للنصوص المقدمة لها،كتب بنيامين مقاله المشهور جدا"ما هو المسرح الملحمي؟" لصحيفة فرانكفورتر تساوتنغ،لكن الناقد المسرحي بالصحيفة برنارد ديبولد رفض نشرها،بنيامين فهم مسرح بريخت بشكل عميق،إنه خروج من الدراما الإغريقية إلى فضاء الشروط المسبقة للحاضر،ما ربط بين بنيامين و بريخت بقوة هو الخيال التاريخي و الإنسانية،الخوف من انتصار الفاشية و انحطاط الاشتراكية في عهد ستالين،كان الرجلان متفقان على مقولة:"لا تبدأ من الأشياء القديمة الجيدة،لكن ابدأ من الأشياء الجديدة السيئة"،القديم من وجهة نظر بنيامين هو يأس كافكا و الجديد هو تقنية التفاهم و الإدراك،كتب عن الراديو و كيف يمكن أن يساهم في توسيع التفاهم بين مختلف الأراء،قال بنيامين:"الراديو منتدى ديمقراطي ينبغي الاستماع فيه لأكبر عدد من أصوات الناس"،من أبريل 1931م إلى أبريل 1932م كان بنيامين يكتب ليجد نفسه شيئا فشيئا بعيد عن المثقف البرجوازي القديم لأنه قد وضعه في موقف متطرف،وصف نفسه بالشخص الواقف على

حطام سفينة و لكي ينقذ نفسه يتسلق الصاري المتداعي،في الصيف ذهب مع ابن عمه ايغون ويسينغ وزوجته جيرت إلى جنوب فرنسا،كان بريخت هناك مع مجموعة من الأصدقاء يعمل على مسرحيته الجديد جوهانوف المقدسة،كتب بنيامين أنه يريد أن يرتاح من الوضع الميئوس منه للثقافة الألمانية والمثقفين الألمان،من إنقسام كل من حوله بسبب أفكارهم،كتب عن كل ما يرغب فيه و هو:"رحلات إلى أماكن بعيدة،و الأهم من ذلك أن تكون هذه الرحلات طويلة جدا".

بريخت ظاهرة صعبة،و يرفض أن تكون موهبته هدية مجانية،فهو صانع المتاعب،المخرب،و الخطير في نظر الكثيرين،بريخت يرفض المجاملة،و يتعامل مع أفكاره السياسية بنفس الجدية التي يتعامل بها مع نفسه كمخرج،بريخت لا يراهن مطلقا على التجديد،بل على الابتكار،لديه الرغبة في تغيير العالم،و يشدد على أن التغيير ما هو إلا حدث منطقي يفرضه الفقر على الإنسان،كل كلمة،كل إيماءة،كل خطوة لها تأثيرها العميق في مجال التربية السياسية،مسرح بريخت هو حقل هذه التربية بكامل شعريتها أحيانا،و في أحيان كثيرة يتم تأخير الشعرية لصالح التربية السياسية،من وجهة نظره حتى الماركسية نفسها ليست جذرية إلا بالقدر الذي تستطيع من خلاله التغيير في مجال الأسرة،كيف يمكن لأحد التغيير إذا لم يفكر في تغيير علاقات أفراد الأسرة ببعضهم البعض،الأسرة هي المسؤولة عن الجيل القادم و لهذا السبب يجب أن تكون لها وظيفة ثورية،على هذه الأرضية

يمكن فهم الشراكة بين بنيامين و بريخت،لقد قام الرجلين بعمل كبير في مواجهة الفاشية و تهديد الحرب،هذه الشراكة الأدبية كانت غريبة بالنسبة للكثيرين،كيف يجتمع بريخت الملتزم سياسيا إلى أبعد درجة،مع بنيامين الهامشي و غير الملتزم تجاه أي شيء،لكن الدراما كانت هي الإطار الذي تتحرك فيه هذه الصداقة،لقد كان بنيامين من أفضل الدارسين للدراما في ذلك العصر و إلى اليوم،و هو من طالب بأن تستفيد الدراما من التكنولوجيا في مجال السينما و الراديو و الإعلان،كانت مجرد صدفة عندما رأى بنيامين مرسوم بحظر السفر إلى الخارج،كانت الصحيفة في يد طفل في زاوية تقاطع شارع فريدريشتراس وشارع ونتر دن ليندن،قرأ في الصحيفة أنه لن يسمح بالسفر إلا لمن يضع وديعة بمبلغ يقدر بعشر أضعاف ما يمتلكه،فخرج من برلين مسرعا إلى جزيرة إيبيزا لأن المرسوم سيتم العمل به بعد يومين،كانت هناك أحداث كبيرة في ألمانيا في هذه الفترة،تم تخفيض الأجور و المعاشات التقاعدية،روهلت التي كان يعمل فيها كقاريء للمخطوطات أعلنت إفلاسها،البطالة متفشية في كل أرجاء إلمانيا لدرجة أن أي شخص لديه وظيفة تم النظر إليه كجزء من الأرستقراطية العمالية،تم حظر أحزاب المعارضة،و التصفيات السياسية و الجسدية ظهرت بوضوح على السطح،كل الإعلام أصبح في يد النازية،وتم حرق الكتب على يد أصحاب المشاعل،فكر جديا في الانتحار بعد اعتقال إرنست شون و فريتز فرانكل وتم ترحيلهم إلى معسكر اعتقال،مرة أخرى وجد نفسه مع بريخت و مجموعة من الأصدقاء خرجوا من ألمانيا

بنفس الطريقة،كان التفكير في جدوى الفن و الحديث عنه هو الشغل الشاغل لكل المجموعة،و أصبح مشروع الممرات الذي تركه لفترة أكثر اهمية بالنسبة له،يجد الفن صعوبة في التكيف مع صعود التكنولوجيا و الفاشية في نفس الوقت،كان بودلير قد اقترح السرعة و التعددية للتكيف مع هذا العصر،و أضاف بنيامين التكيف مع التنافر البناء،كان الخوف من وعي كاذب تخلقه التكنولوجيا،و أن يصبح للفن قيمة مشكوكا فيها،كانت النقاشات تغذي "مشروع الممرات" و "الطفولة في برلين"،لقد أكد في هذا الكتاب الأخير،أن العودة إلى الطفولة هي بحث عن التشبه و الإختلاف،كان العالم في القرن الثامن عشر و التاسع عشر يبحث عن التشابه،لكن القرن العشرين يشبه العودة إلى الطفولة و البحث عن ما حدث من إختلاف بين الماضي و الحاضر،و أن الصورة الفوتوغرافية تمنحنا هذه لحظة للوقوف على هذه الاختلافات بشكل دقيق،إكمال هذه المشاريع هو ما كان يهم بنيامين،حتى عند خروجه من برلين قال:"لم أكن خائفا على حياتي،كنت خائفا من العيش بدون إمكانية النشر".

وصل بنيامين إلى باريس في 19 مارس 1933م،و حجز غرفة في فندق استريا،على شارع كامباغن بريمير في مونتبارناس،الفندق معروف بتواجد مجموعة من السرياليين فيه طول العام،منهم تزارا،دو شامب،بيكابيا،مان راي،آرغون،بدأ بنيامين يفكر في كيفية الحصول على لقمة العيش في باريس،وقدم للحصول على

إقامة،ما كان يقلقه هو أن الخروج من برلين سيؤثر على عمله بشكل سلبي،ومع ذلك استطاع تأمين دخل شهري صغير يعيش منه،لكن دورا و ستيفان كنا إلى هذا الوقت في ألمانيا،ولم تخرج دورا إلى إيطاليا إلا في خريف عام 1934م،وبعدها ستيفان في صيف 1935م،كان بنيامين يتجول في باريس وهو يحمل في قلبه ثلاثة نساء،دورا الجزء اليهودي من حياته،يولا و عالم الأدب،آسيا و الماركسية،كانت آسيا في هذه الفترة تعمل في مجال السينما الروسية،وقد حالفها الحظ في اللقاء مع المخرج إيرفن بيسكاتور لإخراج فيلم عن ثورة الصيادين في سانتا بربارا،كانت تسمع أخبار بنيامين عن طريق رسائل بريخت،لم تكن سعيدة و لهذا كانت تعمل طول الوقت،بنيامين كان يعيش علاقات عابرة من وقت لآخر،و لم يفهم ما حدث مع آسيا و لا لماذا حدث،في بداية أبريل عام 1934م سافر بنيامين إلى إيبيزا و مر على برشلونة لزيارة الأصدقاء القدامى ألفرد و جريت كوهن،وفي برشلونة قضى أيام مع امرأة ألمانية،زوجة لطبيب ألماني و هاربة من النازية،لم تكن جزيرة إيبيزا المكان البكر الذي عرفه من قبل،لقد تم تشويه الحياة على الجزيرة،ضجيج البناء كان في كل مكان،لابد من الاستفادة من اللاجئين الجدد على الجزيرة،و الأسعار في ارتفاع لا يرحم،حاول بنيامين البقاء هادئا و بعيدا عن السياسة قليلا،وجد بعض العزلة القديمة في هذا المكان،في الصباح الباكر يسير فوق التلال،يجلس قبل الغروب على كرسي وسط الغابة،يجلس بعض الأوقات للكتابة تحت شجرة،ثم بدأ يتنقل في أرجاء الجزيرة،وفي إحدى هذه الرحلات

تعرف في جزء نائي جدا من الجزيرة على بول غوغان،بول هو أحد أحفاد الرسم العظيم غوغان،و الاجنبي الوحيد في هذا الجزء من الجزيرة،عمر بول ثلاثة و عشرين عاما و يعيش بشكل بدائي جدا،نظر بنيامين إلى النساء بجانب القوارب في خليج صغير و غير مرئي،البحر المتوسط يمارس سحره عليه،كل شيء كان طازجا و كما يحب بنيامين تماما،هكذا يرى بنيامين هالة الواقع،نسج غريب من الزمان و المكان،مشهد فريد بينك و بينه مسافة حتى لو كان قريبا جدا منك،أوقات الراحة في الظهيرة و أنت تنظر إلى قمم الجبال في الأفق،في لحظة تصبح جزءا من كل هذا،وتصبح في وسط الهالة التي يرسمها واقع اللحظة،هذه الهالة منحة للقادرين على تأمل الجمال و السكينة،الرجل الذي يمشي دائما في الطرقات يقف كثيرا على مفترقات الطرق،بنيامين كان هاربا من مفترقات الطرق،منحه بول لحظة مع هذا التأمل الصافي للحظة الراهنة التي هو فيها،لقد شاهد بنيامين في الطرف الآخر من الجزيرة صراع الإنسان مع الطبيعة و الانتصار عليها،الحديد كان يخترق كل شيء دون رحمة،كان مبدأ الخبرة يتغير،و معنى التجربة يتغير في كل لحظة،لقد أصبح العالم يشبه لغة البالغين بعد أن كان يشبه لغة الاطفال الصغار،لم يعد العالم هو ذاك المكان الجميل،ستالين و هتلر هما من يتكلم بلغة خشنة لم يكن أحد في العالم يعرف معناها.

شكل 6 بنيامين وبول غوغان حفيد الفنان العظيم

كتب بنيامين مقالة عن "الخبرة و الفقر"،تحدث فيها عن البربرية الحديثة،و كيف أصبح تاريخ القرن العشرين لا يكتب إلا عن الحرب،كان يعيش مخاوف اليهود في ألمانيا،ومخاوف البشر من الموت و الجوع،الهمجية غيرت صورتها القديمة بصور جديدة،صورة تحمل فيها الحرب في يدها مواد و وسوائل مدمرة،كانت لديه أربع كتب يريد كتابتها بالإضافة إلى مشروع الممرات،قرر أن يبدأ بكتابة تجربته مع الحشيش،أرسل ليولا رادت،إرنست شون،و فرانز هيسيل يطلب المال،كان يعيش فقط من الكتابة إلى الراديو،موارده المالية كانت في تناقص مستمر،كان يحتاج لدفعة تزيد كم الزخم في حياته،فكر في الزواج و طلب يد "عُلا باريم" صديقة عائلة هيسيل،لكنها رفضت لأنها لا تفكر في الارتباط بأحد،كان في الصباح يحب الحياة،و في الليل يفكر في الانتحار،وبدأ في كتابة وصيته،كان أهم

ما فيها هو أنه ترك الطبعة الأولى من "التجاذب الاختياري" لآسيا لاسيس،و قطعة من الخزف المصقول ليولا رادت،جريتيل كاربلوس منفضة سجائر،ومكتبته لابنه ستيفان،لكنه ترك فكرة الانتحار جانبا بعد أن وجد الحب،في إيبيزا وقع في غرام الرسامة الهولندية آنا ماريا باوبوت تين كيت،كتب قائلا عنها:"إنها ليست حبيبة فقط،بل أم في بعض الأحيان،وعاهرة في بعض الأحيان،وصديقة في أحيان أخرى،قادرة على أن تأخذ الدور الذي تحتاجه العلاقة في أي وقت،إنها النسخة المؤنثة من ملاك التاريخ"،عاد إلى باريس ومعه الملاريا،كان مريضا جدا،وبعد فترة الراحة عاد إلى الكتابة وقطع علاقته مع آنا ماريا،وصل بريخت إلى باريس في الوقت المناسب،وقضى مع بنيامين و الأصدقاء خمسة أسابيع كاملة،و بعد سفر بريخت عاد إلى الشعور بالوحدة و البحث عن المال،في بداية صيف عام 1934م سافر بنيامين إلى الدنمارك بدعوة من بريخت الذي استقر هناك،جهز له بريخت غرفة ليحافظ على خصوصيته،يصف بنيامين الدنمارك قائلا:"هناك العالم أكثر هدوء"،وفرت له "هيلين ويجل" زوجة بريخت كل وسائل الراحة،موقد للطهي،الراديو،مقهى قريب،ومكتبة سفيندبورغ القريبة يمكن الحصول على أي كتاب منها،،وجهز بنيامين نفسه للجانب الجيد و السيء من بريخت،لم يكن أمام بنيامين شيء ليفعله،يلعب الشطرنج مع بريخت،و يجلس مع عائلة بريخت قرب الراديو في المساء،التفاهم بينهما كان ينمو في صمت يشبه صمت لعبة

الشطرنج،أما النقاشات الجادة فقد كانت حول المسرح و أعمال بريخت،ودور الفن في المجتمع،يميز بريخت بين نوعين من الكتَّاب "الجديين" و "غير الجديين" ،يقول لبنيامين:"دعنا نتصور أنك تقرأ رواية سياسية،و بعد أن تنتهي منها تكتشف أن لينين هو من كتب هذه الرواية،لا شك أن رأيك في لينين و الرواية سيتغير،لن تحترم لينين و لا الرواية"،هناك فئة ثالثة لا يمكن وصفهم بالجديين أو غير الجديين و على رأسهم كافكا،و هاينريش فون كلايست،هؤلاء صنفهم بريخت كإخفاقات لابد منها،و بريخت يضع نفسه مع الفئة غير الجدية،لم يكتب بنيامين دراسات معمقة في الدنمارك،كتب مقال عن السياسة الثقافية في ألمانيا،وراجع مقاله عن كافكا على أساس من النقاشات مع بريخت حول كافكا،و ما كان قد سمعه من جرشوم شوليم عنه،كان كافكا يقف بين اليسار و اليمين و ينتظر الحكم عليه في نهاية المحاكمة.

شكل 7 فالتير بنيامين في إبيزا 1930

كان خبر اعتقال شقيقه جورج بسبب أنشطته السياسية صدمة كبيرة،و قد مات في معسكر اعتقال ماتهاوزن عام 1942م،و الصدمة الأخرى كانت عند سماع بنيامين هتلر لأول مرة من خلال الراديو،وسماعه قصة ليلة السكاكين الطويلة التي قضى فيها هتلر على معارضيه،كان الجيش يخاف من الميلشيات النازية،و هذه المليشيات تمارس عنفا لا مبرر له إلا الإرهاب و التخويف،و لم يتوقف هذا الرعب عند ألمانيا،فقد كانت هناك انتفاضة نازية فاشلة في النمسا،كانت أوروبا تعيش الرعب بسبب هذه الأخبار،كانت الرسائل من الخارج قليلة،و البيت مزدحم بأشخاص من كل مكان،و الطقس كان سيئا جدا،قرر بنيامين العودة إلى باريس و المرور على زوجته السابقة في سان ريمو الإيطالية،علاقة دورا ببنيامين تحسنت كثيرا بعد الطلاق،فتحت دورا بنسيون صغير في سان ريمو،وجد بنيامين عندها الراحة و المأوى و الطعام،عاد إلى المشي مسافات طويلة و قرأ الكثير من الكتب،في 24 أكتوبر عاد إلى باريس،المال الذي معه لا يكفي إلا غرفة في فندق رخيص جدا،حاول فيها العمل على مشروع الممرات،لم تكن حالته النفسية جيدة،و أصبح يصرح بذلك أمام الجميع،دائرة الحياة ضيقة جدا و خانقة في كثير من الأحيان،أرسل رسالة إلى آنا ماريا يصف فيها حالته قائلا:"لقد عرفت بسبب الزمن و المسافة مدى عمق ما يربطني بكِ،أنا ممتلئ بالحاجة إلى أن أكون بقرب إنسان،في حاجة إلى من يؤطر أيامي و أفكاري،لا يمكن أن أشعر أن قربك قادر

على فعل ذلك إذا لم يكن جزءا منكِ يعيش بداخلي،أنا الآن على يقين من ذلك أكثر من قبل"،آنا ماريا وصلتها هذه الرسالة و هي متزوجة من الفرنسي لويس سيلير،تعرف عليه بنيامين عندما زار باريس مع آنا ماريا،لم تكن هذه المرة الوحيدة التي يحاول فيها بنيامين إحياء العلاقة،في كل مرة يشعر فيها بالاحباط و الحزن الشديد يقوم بإرسال رسالة إلى إحدى حبيباته،و لا يهتم بسماع الرد منها،ما يهمه هو الحديث إلى شخص يحبه و يثق فيه،أدورنو ساعد بنيامين على الخروج من حالة الإحباط،أرسل إليه بعض المال و شجعه على العمل و إستكمال مشروع الممرات،أعلن عن إقامته سلسلة من المحاضرات عن الطليعة الألمانية،كل محاضرة تتكلم عن اسم بارز في فن من الفنون مثل "كافكا و الرواية"،" بلوخ و المقالة"،"بريخت و المسرح"،"كروس و الصحافة"،وكتب مقالة مهمة عن "الوضع الاجتماعي للكتَّاب الفرنسيين"،بنيامين في هذه المقالة تحدث بفهم عميق للماركسية،وهذا ما استفز جرشوم شوليم للرد عليه بقوله:"هل ما تريد قوله في هذا المقال هو أن الشيوعية عقيدة؟"،فرد بنيامين قائلا:"لا الشيوعية ليست عقيدة،بل هي تعبير عن تجارب معينة،إذا كانت مطالبة الإنسان بحقوقه شرا،فهو الشر الأقل شأنا في العالم الذي يحيط بنا اليوم"،في فبراير 1935م نشر بنيامين أول مقال كتبه مباشرة باللغة الفرنسية، المقال بعنوان "باخوفين" وهو فيلسوف و قانوني سويسري،حاولت آسيا إيجاد عمل له في روسيا لكنها فشلت في ذلك،كان يريد المشي إلى جانب آسيا في شوراع موسكو،يريد النظر إلى مشيتها و هي تلبس

معطفا من فراء الرنة،في هذا الوقت هوركهايمر يعمل بجد باحثا عن عمل لبنيامين في أمريكا،ونصحته جريتيل بترك باريس و ذهب إلى موناكو بحثا عن حياة بتكاليف أقل،لكن بنيامين لا يستطيع الكتابة إلا في باريس،عاد إلى مشروع الممرات و كتب فيه رؤية بلزاك لأنقاض البرجوازية،و رؤية السريالية للأنقاض التي تركها التطور الرأسمالي،تطور العمل بشكل كبير،دائرة فرانكفورت أصبحت مهتمة به أكثر فأكثر،كل الأصدقاء نظروا إلى مشروع الممرات كأكبر إنجاز فلسفي يمكن أن يحققه بنيامين،وهذا ما جعل بنيامين يحصل من هوركهايمر مدير معهد البحوث الاجتماعية على راتب مضاعف لإنهاء العمل،كان هناك خوف كبير من تأثير بريخت على العمل،لكن بنيامين أكد للجميع أنه لن يكون هناك تأثير من أحد على أفكاره أثناء سير مشروع الممرات إلى نهايته.

شكل 8 ثيودور أدورنو

عام 1935م حقق مشروع الممرات قفزة جيدة إلى الأمام،كان وضع بنيامين في تحسن مستمر،بعد رفع هوركهايمر مرتبه من معهد البحوث الاجتماعية شعر

بنيامين ببعض الراحة،اسمه أصبح معروفا على نطاق واسع في الأوساط الثقافية،هذا لا يعني أن المنفى أصبح سهلا،لكن الوضع أفضل بالنسبة لمهاجر في تلك الفترة،راجع مواد "مشروع الممرات" التي جمعها خلال السبع سنوات الماضية،و لتجربة هذه المواد كتب مقال "باريس عاصمة القرن التاسع عشر"، لوضعه كخريطة يمكن الإنطلاق منها لعمله الكبير،كتب المقال لنفس الغرض الذي كتب من أجله ماركس الغورندريسة قبل كتابه رأس المال،سافر إلى موناكو لبعض الوقت و يقال أنه فقد كل ما معه على طاولة القمار،و هذا الخبر وصل إلى كل من كانوا يساعدونه،أخته رفضت مساعدته،و دورا تجاهلت رسائل طلب النجدة،لقد كان بنيامين يحصل على المال الكافي للعيش كلاجئ،لكنه يحتاج لمال أكثر من أجل القمار و النساء،كان يحصل على وجبة مجانية في المكتبة تقدم للمثقفين الفرنسيين،أما في الأوقات التي يكون فيها بعيدا عن المكتبة فلا يحصل على شيء،و أصبحت تحركاته محدودة جدا بسبب نقص الموارد المالية،و لا يسافر إلا بدعم من معهد البحوث الاجتماعية،كتب مقال عن "الفن في عصر إعادة إنتاجه تقنيا"،في هذا المقال يوسع بنيامين مجال رؤية النظر إلى مفهوم السلعة و الاستهلاك،و ما تحدث عنه باتاي في مجال الاقتصاد،تحدث عنه بنيامين في مجال الفن،إن النسخة التي يمكن الحصول عليها لأي عمل فني هي سلعة،وهذا ما يجعل العمل الأصلي يختفي من المشهد،لقد فقد العالم التجربة الصوفية أثناء الوقوف أمام العمل الفني الأصلي،لقد فقد العمل الهالة التي كان

الإنسان يسافر من أجل الشعور بها،لقد حركة التكنولوجيا المسافة بين العمل و الناس،خرج الفن من القاعات و دور العرض و المتاحف إلى الشارع،و أصبح قابلا للاستهلاك بشكل جماعي،كان بنيامين يشرح كيف تعمل الرأسمالية على تقييد الإمكانيات التقدمية للثقافة،حصل أخيرا على دعم مالي من تبرعات الكتَّاب الروس لزملائهم الألمان،ترجم مقال "الفن في عصر إعادة إنتاجه تقنيا" بيير كلوسوسكي الصديق المشترك لباتاي و بنيامين،ودفع هذا المقال فريدريك بولوك لرفع مرتبه من 500 إلى 1000 فرنك،بعد زيارته لبنيامين في باريس و الاجتماع معه في شتاء عام 1935م،ومنحه بولوك 500 فرنك لإصلاح أوضاعه في باريس،في فترة الإغلاق السنوي للمكتبة الوطنية لم يكن أمام بنيامين سوى الجلوس في غرفته و الكتابة في مشروع الممرات،كانت ملاحظات أودرنو ترغمه على إعادة الصياغة،خاصة نقده لمفهوم صنمية السلعة،و خطر الركون إلى علم النفس إذا تعلق الأمر بمفهوم الحلم،و الفرق بين الحلم النفسي و الحلم التاريخي،الجو العام في باريس كان خانقا،بسبب كراهية الفرنسيين للاجانب و خاصة الألمان منهم،عرض على أودرنو نشر ملخص لمشروع الممرات لكنه رد في رسالة قائلا:"هذا خطر للغاية،لن يمنحوك سوى مساحة صغيرة جدا،ولن تكون قادرا على كتابة ما ينتظره الجميع منك في هذا العمل"،مراسلاته مع جريتيل زوجة أودرنو توقفت لبعض الوقت بسبب التوتر بينها و بين زوجها،أصبح يشعر بالعزلة لأن

الكثير من الأصدقاء خرجوا من فرنسا،كل شيء من حوله أصبح كئيبا و مثيرا للقلق،و للخروج من هذه الحالة كتب لابنه ستيفان مقال عن "نيكولاي ليسكوف"،وركز بنيامين على دور الحرفيين في قصص ليسكوف،وربط بين كتابة القصص كحرفة و الحرف التي يختارها ليسكوف،و بين المهارة التي تحتاجها حرفة من الحرف،و مهارة رواية القصص و كتابتها،وضعه المالي يتأزم من جديد و يرسل إلى أودرنو يطلب رفع مرتبه،و رغم شعور المعهد بالحرج إلا أنه رفع مرتبه إلى 1300 فرنك،كان غاضبا من كل شيء لأن استيفان في ايطاليا و قد ينجر خلف مقولات الفاشيين الشباب،فكر في إرساله إلى النمسا،لكن معاداة السامية هناك قد أصبحت واضحة جدا و لا مجال لتجاهلها،فكر جديا في ترك كل شيء و الذهاب لزيارة بريخت في الدنمارك.

قبل الذهاب إلى الدنمارك كان هناك اجتماع كبير ضم السرياليين بقيادة بريتون و الدائرة الشيوعية الديمقراطية بقيادة بوريس سوفارين،الاجتماع كان في 21 يناير 1935م،حضر الاجتماع باتاي و كوليت و سيمون ويل مع سوفارين،و حضر بنيامين بدعوة من بيير كلوسوسكي،في الاجتماع تم الاتفاق على العمل ضد الفاشية،على أن يعمل كل الحاضرين تحت اسم واحد وهو "هجوم مضاد"،في يونيو 1936م وضع باتاي للمجموعة استراتيجية الحرب ضد الفاشية،و هي الدخول في نفس اللعبة التي تلعبها الفاشية من الناحية الاعلامية،قبل رحيله حاول تصفية الأجواء مع بعض الأصدقاء مثل بلوخ المتهم بسرقة أفكاره و هيلين هيسيل

التي قطع علاقته بها بشكل مفاجئ،كتب في رسالة إلى شوليم قائلا:" إن قطع العلاقات مع الأصدقاء ليس في مصلحتهم و لا في مصلحتي أنا"،كان حريصا و لا يتحدث أبدا عن مشروع الممرات أمام بلوخ،لكنه وجد الكثير من الراحة مع هيلين التي أعطته كتابها "حول طبيعة الموضة"ليطلع عليه،في أغسطس سافر بنيامين إلى الدنمارك للراحة و الابتعاد عن التوتر،و كالعادة كان يلعب الشطرنج يوميا مع بريخت،و يسمع الراديو،ويتابع باهتمام شديد الحرب الأهلية الاسبانية،ومحاكمة رفاق الأمس التروتسكيين و الزينوفيفيين ومعهم الفوضويين و البوخارينيين في الاتحاد السوفيتي الستاليني،اقترح بريخت على بنيامين نشر رسائل بعنوان "رسالة من باريس"في صحيفة "الكلمة" التي كان بريخت يشارك ليون فوشتوانجر و ويللي بريدل تحريرها،أراد بريخت نشر النقاشات الثقافية و السياسية التي كانت تدور بين بنيامين و الكثير من مفكرين و كتَّاب تلك الفترة،بريخت نفسه كان واحد من هؤلاء العمالقة،في هذه الزيارة كان النقاش بين بنيامين و بريخت يدور حول مهمة الكاتب،و عن سبب حرمان أفلاطون الكتَّاب من حق الإقامة في جمهوريته أو مدينته الفاضلة،بنيامين يرجع السبب إلى معرفة أفلاطون بالقوة التي يمتلكها الأدب،وحاجة هذا الأدب للحرية،أفلاطون رفض منح الحرية و يريد من الكاتب أن يكون تحت تصرف جمهوريته،بريخت يرى المشكلة في عدم منح أفلاطون الكتَّاب حق الإختيار،بريخت يؤكد أن الكتَّاب البرجوازيين الترفيهيين

سيرفضون،لأنهم يخدمون مصالح فئة معينة،لكن الكتَّاب الملتزمين بقضايا المجتمع سيقبلون بعملهم تحت تصرف الجمهورية،بنيامين ناقش مع بريخت الموضوع من زاوية أخرى و هي العلاقة بين الفن و الالتزام و الجودة،بنيامين يلمح إلى أن الالتزام لا يمكن أن يقدم أدب جيد إلا في حالات نادرة جدا،الميل وحده وليس الالتزام من ينتج أدب بجودة عالية،الكاتب الجيد الذي يميل للسياسة يمكن أن ينتج عمل أدبي سياسي جيد،الكاتب الذي يميل للحياة في سياقات اجتماعية حية،يمكن أن ينتج عمل أدبي أجتماعي جيد،هذه الحوارت هي ما أنتج مقال بنيامين "المؤلف كمنتج"،كان بنيامين قد اخذ جزء من حديقة بريخت ليكون مكتبه الخاص،وحاول قدر الإمكان التناغم مع الزوار الموجودين بشكل دائم في بيت بريخت،نشر في هذه الفترة عن طريق ناشر سويسري مجموعة من الرسائل تحت عنوان "الرجال و النساء الألمان"،نشرها تحت اسمه المستعار ديتليف هولز،الكتاب مكوّن من 28 رسالة لعظماء عصر التنوير الألماني مثل غوته،جريم،هولدرلين،كانت،أفلت الكتاب من الحظر في ألمانيا حتى عام 1938م،ثم وضع على قائمة الكتب المحظورة،عمل بنيامين على هذه الرسائل بحيث تكون سيرته هو الذاتية و الفكرية،سيرة الحرمان و المنفى و الأزمة،فمثلا رسائل جورج فوستر تمثل المنفى،رسائل جوهان سويم تمثل حبه لآسيا لاسيس،رسائل هولدرلين تمثل السفر قبل الاستقرار في باريس و هكذا،لقد حقق كتاب "الرجال و النساء الألمان"مبيعات جيدة،وتم طبع طبعة ثانية منه عام

1937م قبل حظره،لكن كالعادة لم يسدد الناشر و صحيفة الكلمة ما عليهم لبنيامين من مال في الوقت المناسب،ترك بنيامين الدنمارك في 10 سبتمبر،توقف يوم واحد في باريس ثم اتجه إلى سان ريمو للتصالح مع دورا،و البقاء مع ستيفان لبعض الوقت.

شكل 9 بريخت وبنيامين في الدنمارك 1933

ستيفان وصل إلى إيطاليا في ظروف صعبة،كان ستيفان طائشا و لا يقدر العواقب،لكن الطبيب أكد أن صحته جيدة و لا يعاني من أي مشاكل صحية،لكن بنيامين اكتشف أن أصدقاء ستيفان جزء من المشكلة،و هم من وراء الأعمال الطائشة التي يقوم بها،وأن الغربة لها تأثير كبير عليه،و دورا كانت تلوم بنيامين

على عدم مشاركته بشكل كافي في تربية ستيفان،زاد هذا الموقف من الفجوة بينها و بين بنيامين،كان مكان لقاء بنيامين و ابنه في البندقية،سافر بنيامين إلى مكان اللقاء عبر رافينا،و هذه كانت فرصة ليلقي نظرة على الفسيفساء البيزنطية هناك،كان يحلم بهذه اللحظة مدة عشرين عاما،"متعة غير عادية"هذا ما قاله بنيامين عن مشاهدة الفسيفساء،قضى بنيامين عام 1936م متنقلا بين باريس و سان ريمو للمشاركة أكثر في رعاية ستيفان،و هذا ما جعله يترك العيش في بيت أخته التي انتقلت إلى باريس و أقام بنيامين في غرفة معها،كانت تحتاج إيجار الغرفة لزيادة مواردها المالية،في الأسبوع الأول من شهر ديسمر 1936م انتقل إلى سكن مؤقت في شقة في شارع دي لافيل بالدائرة الخامسة،في يناير بدأ العمل على مقال عن إدوارد فوشس وهو كاتب و مؤرخ و جامع تحف،درس فوشس القانون و معروف كماركسي في الأوساط الثقافية،و دخل السجن أكثر من مرة بسبب دفاعه عن الماركسية،كتب العديد من الكتب،من اشهر أعماله:"التاريخ المصور للأدب من العصور الوسطى حتى الوقت الحاضر"،سافر إلى مصر قبل الحرب العالمية الأولى بقليل،وبعد نهاية الحرب تم تكليفه من قِبل حكومة ستالين كمسؤول عن تبادل الأسرى مع ألمانيا،بنيامين عمل على هذا المقال بشكل متقطع و بدون أي حماس خلال سنوات،مفهوم فوشس الكلاسيكي للجمال كان يزعج بنيامين،لكنه تحت ضغط أدورنو و هوركهايمر انتهى منه في نهاية يناير،كان المقال ناجحا جدا لأن بنيامين استغل فوشس للكتابة عن التاريخ الثوري للفن و

لحظاته المهمة،بعد هذا المقال طلب منه أدورنو كتابة مقال ضد يونغ و مقولاته عن اللاوعي الجمعي،و تم رفع مرتبه من جديد إلى 1500 فرنك،كتب بنيامين إلى هوركهايمر يطلب منه الوقت للكتابة عن يونغ،و أنه يحتاج إلى لغة فلسفية للكتابة عنه:"لابد من إيجاد لغة غير فنية،و استخدام مصطلحات غير نقدية،لابد أن تكون المصطلحات خادعة،لأن هذا النوع من الكتابة يجب أن لا يكون موقفا من التفكير،بل من الواقع الذي يتم التفكير فيه"،بنيامين ينظر إلى الثقافة نظرة مختلفة،فالثقافة ليست هدية وقعت في حضن البشرية،و لا هي مكافأة أو خير أبدي،لابد من فهم الجانب السلبي من الثقافة عندما تتحول إلى سلعة،الثقافة ليست منفصلة عن ظروف إنتاجها،لم يلاحظ الناس أن التقدم العلمي التكنولوجي يصاحبه تراجع ثقافي محبط،هذا ما كان يحتاج إلى لغة جديدة للحديث عنه،فكل وثيقة ثقافية قد تتحول إلى سلاح في يد الهمجية إذا لم نستخدم اللغة المناسبة،لقد انحدر الشعر إلى الحضيض في كل أنحاء العالم،لقد تم تجاهل قيمة الشعر و أصبح معزولا،وكأن التقدم كان يشترط التخلص من الشعر لأنه يقف في طريقه،النثر حقق انتصاره الأخير على الشعر،هزم الشعر بسبب عدم قدرته على التلائم مع عقلية الاستهلاك،الرواية هي ما يستحق أن يكون الوثيقة الأدبية للحداثة،البرجوازية جلعت الشعر متاحا للجميع،وهذا ما جعل الخسارة كارثية،هذه كانت خطوط أفكار بنيامين لمشروع الممرات،بسبب هذا الفهم العميق ضغط

هوركهايمر على بنيامين للتركيز على كتاب "بودلير شاعر غنائي في حقبة الرأسمالية" و التخلي عن فكرة الكتابة عن يونغ،أجل بنيامين الكتابة عن يونغ إلى وقت آخر،لكنه بدأ في قراءة كل شيء عنه،و كان مذهولا و مفتونا بسبب إقتراح يونغ معالجة "الروح الآرية"،وفكر في كتابة موضوع عن العدمية السريرية في كتابات سيلين و يونغ،و هذا الموضوع يوفر له مجالا للحديث عن الجذور المسمومة لعلم النفس الجمعي،لم يكن النشر سهلا في فترة ما قبل الحرب،كان بنيامين يعاني ماديا بسبب المسافة التي أصبحت طويلة جدا بين المخطوطة و النص المطبوع،هذه المسافة تكلف بنيامين كثيرا لأنه ينتظر المال الذي لا يأتي أبدا في الوقت المناسب.

شكل 10 دورا في ايطاليا مع ستيفن

كان ما يحصل عليه بنيامن من مال عن المقال 150 فرنك،و المدة بين بين المقال و الآخر تحدث فجوة مادية لا يمكن سدها بأي شيء،كتب إلى هوركهايمر جرد كامل بمصاريفه ليعرف وضعه المادي،480 فرنك للإيجار،720 فرنك للطعام،المقاهي و الخياط و الغسيل 440 فرنك،و أنه يحتاج إلى حذاء جديد،و بدلة جديدة،و الذهاب إلى طبيب الأسنان و هذا الأمر بالذات لا يستطيع تأجيله،و نظارة طبية جديدة،و أشار إلى أن قيمة الفرنك في انخفاض،كان بنيامين على اتصال في هذه الفترة بكراكور و بلوخ،وتعرف على الروائية الماركسية "آنا سيغريس" صاحبة رواية "صيادين سانتا بربارا"الذي عملت آسيا على إنتاجها كفيلم في روسيا،زوجها عالم الاجتماع المجري لازلو ردفاني صديق بنيامين،وارتبط مصيره بمصير بنيامين في مخيم الاعتقال لو فيرنيت فيما بعد،و تعرف على "جان فال"أحد كتاب أسيفال و صديق جورج باتاي،وتعرف من خلاله على تجربة جماعة أسفيال،و تعرف بنيامين في هذه الفترة على بيير دوبوس الخبير في الفن الصيني،طرد بنيامين من الغرفة بسبب التأخير المستمر في دفع الإيجار،و اضطر للسكن في غرفة بسعر أعلى،لم يكن يخرج كثيرا لأنه لم يغير نظارته و أصبح شبه أعمى،فرنسا تمر بفترة الكساد الكبير،وهذا كان له أكبر الأثر على المهاجرين،كتب في رسالة لفريدريش بولاك قائلا:"أعيش في غرفة مع مهاجر ألماني،ليس فيها من الأثاث ما يكفي لاستقبال ضيف،ليس لدي أي مال إضافي

للحالات الإستثنائية،شراء نظارة يشكل صعوبة لا يمكن أن تتصورها"،كان بنيامين يكافح من أجل الحياة،و لم يعد يتلقى مالا من الداعمين له بسبب الأزمة،كانت الإنتفاضة في فلسطين قد بدأت وهذا يعني أن التنازل و الطلب من شوليم لن يجدي،بعث بنيامين رسالة إلى شوليم يقول فيها:"عندكم أيضا الريح تهز القصب"،السامية أنتقلت من الغرب إلى الشرق لتخوض الصراع ضد نفسها،كان يجلس قريبا من الموقد و يقرأ كتب كثيرة و يسجل ملاحظاته لمشروع الممرات،و في أحد جلساته في المكتبة الوطنية و قع بصره على كتاب لكاتب غير معروف هو كارل غوستاف جوشمان،عنوان الكتاب "عن اللغة" وفيه مقال بعنوان "انحدار الشعر"،المقال في سبعين صفحة و الاطروحة الأساسية فيه هي:أن انحدار الشعر هو تقدم الثقافة،وقع هذا المقال على بنيامين كما يقع النيزك على الأرض،دب الحماس فيه من جديد،بدأ كتابة مقال عن جوشمان مع مختصر لسيرته الذاتية،أرسل نبذة عن الموضوع لهوركهايمر فتحمس هو أيضا للمقال،نشر كراكور كتابه "أورفيوس في باريس و باريس في عصر أوفنباوخ"،هذا ما كان بنيامين خائفا منه،موضوع الكتاب قريب جدا من موضوع الممرات،لكن وجد العزاء في كلمات أدورنو عن الكتاب:"الملاحظات الإجتماعية هزيلة،و حديثه عن الموسيقا كله أخطاء،لقد مسح كراكور نفسه من قائمة الكتاب الذين كنت أنظر إلى كلامهم بجدية"،شعر بنيامين أن كراكور قد تعدى على أفكاره بشكل مباشر،لهذا دخلت العلاقة بينهما في حالة من التوتر المستمر،و في النهاية قطع بنيامين علاقته

بصديقه كراكور،أدورنو نظر للموضوع كخيانة حقيرة من صديق قديم لبنيامين،كان أدورنو مستاء جدا من حالة التنافس بين المهاجرين الألمان،لكن عذرهم كان قلة الموارد المالية و صعوبة النشر،كان اليأس و التشرد الفكري و عدم الاستقرار يدفعهم لهذا التنافس الذي يكون في احيان كثيرة غير شريف.

جلس بنيامين في الصف الأول في حفل لعازف الكمان أرنولد شونبيرغ تلميذ رودولف كوليش و زوج أخته جيرتورد،رفع صوت الكمان من معنويات بنيامين،أيضا سماعه لكلمة آنا سيغريس في ذكرى الكاتب بوشنر ساهم في حماسه للعمل،وقال أنه استمتع كثيرا في هذه الفترة بصحبة بولاك مدير معهد العلوم الإجتماعية الجديد،في هذه الزيارة لباريس تعمق التفاهم بين الرجلين،و أصبح بنيامين يكتب اسمه الأول فقط في الرسائل إلى أدورنو،هذا الأخير أيضا زار باريس و قضى وقت ممتع مع بنيامين،و شوليم مر على باريس و هو في طريقه إلى نيويورك و جمعته ببنيامين بعض الجلسات،كان بنيامين يستعد لحضور معرض باريس العالمي للفنون و التقنيات،توقع أن يجد فيه مادة جيدة لكتاب مشروع الممرات،ركز بنيامين على كل شيء يدعم حديثه عن دور المعارض الصناعية في تشكيل العاصمة الصناعية في القرن التاسع عشر،بعد المعرض في 28 يونيو سافر إلى سان ريمو للبقاء في بنسيون لورا حتى نهاية أغسطس،عمل في هذه الفترة على التقدم في مقاله عن يونغ ودفاعه هذا الأخير عن الفاشية،لكنه

اهتم بجمع كل شيء عن بودلير و بدأ في 5 أغسطس كتابة كتابه "بودلير :شاعر غنائي في عصر الرأسمالية العليا"،كان بنيامين يعمل على أن يكون هذا العنوان فصل في مشروع الممرات،لكنه تطور و أصبح كتاب منفصل بسبب كثرة المعلومات و التفاصيل و الاقتباسات،و صل أدورنو و جريتيل إلى سان ريمو،لقضاء بعض الوقت قبل السفر إلى أمريكا،هذا اللقاء كان الأخير بين الأصدقاء الثلاثة،تحسنت علاقته بشوليم بعد زيارة هذا الأخير لباريس في فترة سابقة،و كالعادة كتب رسالة يطلب فيها من بنيامين التفكير في قضاء الشتاء في القدس مع تقديم كل الإغراء اللازم،لكن بنيامين كالعادة عاد إلى باريس في بداية سبتمبر و ترك أحلام جرشوم شوليم معلقة،انتقل للسكن في شقة خاصة به في شارع دومباسل،بعد خمس سنوات في باريس أصبح لديه شقة خاصة،علق لوحة ملاك التاريخ في غرفة الجلوس،نظر إليها و ابتسم و هو يتذكر أنها تنقلت معه في 19 سكن حتى الآن،كان سعيدا لأنه استطاع اخيرا العيش في شقة يمكن استقبال الاصدقاء فيها،كان يزور المكتبة الوطنية بشكل منتظم،تراكم الكتاب فوق الكتاب،الورقة فوق الورقة،كانت الشقة مزدحمة ببودلير ودخان سجائر بنيامين،بعث إليه أدورنو بمخطوط مقاله عن فاجنر،واستمتع كثيرا بقراءة المقال،خاصة الجزء المتعلق بحديث أدورنو عن التدخين،تقدم بنيامين بطلب للحصول على الجنسية الفرنسية،لكنه لم يحصل عليها إلى اليوم الذي قرر فيه الرحيل من فرنسا،كان بنيامين إذا شعر بالإحباط يعود للكتابة في مخطوطة

"الطفولة في برلين"،قال في رسالة إلى فيرديناند ليون:"كتابة ذكريات الطفولة هي لقاح ضد المنفى،استدعاء صور الطفولة هي تخفيف لحدة الحنين للوطن،الرغبة يجب أن لا تتغلب على الفكر،تماما كما يقاوم الجسم السليم المرض عن طريق اللقاح،هذا العمل ليس سيرة ذاتية،بل هو استحضار لشيء لا يمكن استرجاعه من الماضي"،بنيامين كان يكتب في هذه المخطوطة و في قلبه الآلاف من الألمان المهجرين،و أرسل إلى هوركهايمر رسالة يخبره فيها أنه وضع خطة نهائية لمشروع الممرات تقوم على ثلاثة محاور هي:الفكرة و الصورة،العصور القديمة و الحداثة،الحداثة الجديدة،كانت دورا تعمل بكل جهد ليحصل على جواز سفر ألماني جديد،وفي محادثة مع القنصل الألماني في إيطاليا عرفت دورا أن بنيامين لن يحصل على جواز السفر،فقد لمح القنصل إلى نشاط بنيامين و دخوله فرنسا ببطاقة تحديد الهوية و علاقته ببريخت،و أن عليه أن يذهب إلى السفارة الألمانية في باريس،قال بنيامين:"في هذه الأيام يفقد الإنسان القدرة على أن يفاجأ"،كان ستيفان يعاني نفس المشاكل في إيطاليا،حاول بنيامين أن يستبدل أوراق الجنسية بطلب للعمل مدعوما من معهد البحوث الاجتماعية،كتب مقالا عن دراسة لباتاي يتحدث فيها عن التاريخ السري للإنسانية،كان على علاقة جيدة بباتاي،و دائما كان يمزح معه بقوله:"السر هو ما يربط بين المؤسسين" يقصد باتاي و ليريس و كايلويس،داوم على حضور اجتماع "كلية علم الاجتماع" كل سبت في غرفة خلفية

بمكتبة غاليريز دو ليفر،في يونيو 1938م غادر باريس إلى الدنمارك للقاء بريخت و الراحة من الصداع الذي تعايش معه لأسابيع.

كان بريخت حزينا بسبب موت سيرجي تريتاكوف صديقه و مترجم أعماله إلى الروسية،تريتاكوف اعتقل في يوليو 1937م في روسيا و اتهم بالتجسس،شعر بريخت بأن الثقافة كانت ضحية السياسة،و أن ما ناضل من أجله لعشرين عاما قد أصبح من التاريخ،أقام بنيامين هذه المرة في غرفة في بيت شرطي صديق و جار بريخت،حاول العمل على كتاب بودلير وسط إزعاج أولاد الشرطي،عازلا عمله عن بريخت الذي لن يتفق مع بعض النقاط فيه،العلاقة بين بنيامين و بودلير تمتد لعشرين عاما،و بعد قراءة بنيامين لكل ما كتب عن بودلير،اكتشف أنه غير معروف تماما،لقد اخترع بنيامين بودلير جديد من خلال الغوص في الفكر البرجوازي لتلك الفترة،وردود فعل هذا الفكر تجاه شعر بودلير،بعد عشرة أيام في كوبنهاجن كتب مقال بعنوان "في سباق مع الحرب"،استفزه اتفاق ميونخ الذي تم التوقيع عليه في 29 سبتمبر 1938م،و في أكتوبر عاد إلى باريس بسبب مرض أخته التي تعاني من تصلب في الشرايين،ستيفان انتقل مباشرة من إيطاليا إلى لندن حيث الأمان من رعب الحرب القادمة،كان كابوس الحرب يدمر الحياة في أوروبا،الهواء لم يعد قابلا للتنفس،و زاد من الاحباط رفض أدورنو لمقاله "باريس الأمبراطورية الثانية في شعر بودلير"،أودرنو قال أن بنيامين فشل في تحليل السلعة بشكل صحيح في عصر بودلير،رد بنيامين على كلام أدورنو بقوله:"عملي مثل

شعاع واحد من الضوء يدخل غرفة مظلمة"،لقد إهتزت العلاقة بين بنيامين و أدورنو بسبب عدم دعوته لحفل زواجه من جريتيل،كان عذر أدورنو أنه لم يكن هناك حفل،فقط الشهود و الزوجين،لكن الحقيقة أن أدورنو كان يغار من علاقة بنيامين و جريتيل،الذي لم يعرفه بنيامين هو أن أدورنو كان رغم غيرته حريصا عليه،وحاول بكل الطرق مساعدته للوصول إلى أمريكا،لكن هوركهايمر كان يرفض ذلك،و من البداية كان يشعر بالغيرة من بنيامين،و يشعر بتحفظ تجاه كتاباته،لكن هذه الأشياء عادة ما نكتشفها في وقت متأخر جدا،كان بنيامين قد فقد الكثير من الشخص البوهيمي في شخصيته،وكان يظهر في المجتمع الباريسي بربطة العنق الحمراء و شعره الرمادي،عمره لما يتجاوز الأربعين عاما،لكنه اصبح عجوزا بسبب المنفى،كان بقابل الحزن و الألم بالكثير من السخرية،بنيامين كان يكره أمريكا و انجلترا،لكنه عشق باريس و لم يتأثر هذا العشق المتبدل بسبب ما مر به من عذاب فيها،كان الفن مسيطرا على تفكيره في هذه الفترة بالذات،لهذا كان يزور كل المعارض المقامة في باريس،زار معرض عن بول كيلي في غاليري سيمون،وشعر أن لوحة ملاك التاريخ مازلت أفضل أعماله،في شتاء 1938م بدأت إجتماعات بنيامين مع حنا أرندت و زوجها هاينريش بلوشر ،بنيامين كان يعرف حنا و زوجها السابق غونتر ستيرن في برلين،تجمع بنيامين و ستيرن قرابة بعيدة،قبل مغادرة برلين كانت حنا تعيش حياة اسرة من الطبقة المتوسطة،و ساهم في تعليمها بعض

عظماء المفكرين مثل هيدجر،ياسبرس،هوسرل،وكانت عشيقة هيدجر في عقد العشرينات،العلاقة بين بنيامين و حنا كانت تنمو تدريجيا في المنفى،كانت أرندت تعيش على هامش الوسط الأكاديمي في باريس،ومهتمة بأعمال "كلية علم الاجتماع" خاصة كتابات باتاي عن كوجيف،و كان جان فال هو حلقة الوصل بينها و بين مجموعة "كلية علم الاجتماع"،في هذه الفترة شكل كتاب "تكلفة بخسة لقتل بالجملة" للكاتب لويس فرديناند سيلين صدمة في الأوساط الفرنسية،سيلين المعادي للسامية جعل بنيامين يعود إلى مقالته عن العدمية السريرة و العلاج النفسي،لكن السلطات الفرنسية سحبت الكتاب من السوق في أبريل 1939م،و المفارقة العجيبة هي أن بيت سيلين كان على بعد أمتار من بيت باتاي الذي لا يسلم باليد على أي شخص معادي للسامية،تم دخول الألمان إلى تشيكوسلوفاكيا في مارس 1939م،و في هذه الفترة بالذات تم الاتصال بين منظمة "تحت الأرض" التي تدير ميلينا حبيبة كافكا جزءا منها و بين بنيامين و هوركهايمر،وطلبت المنظمة منهما دعوة الكتَّاب السرياليين و مجموعة كلية علم الاجتماع للكتابة فيها،حلقة الوسط كان رئيس تحرير مجلة الفرنسي الجديد جان بولهان،قالت ميلينا عن بنيامين:"إنه نموذج لليساري المثقف،ناقد لتاريخ لم يأتي بعد،لم يكن لا متطرفا و لا جبانا،وحده قادر على مد يد العون"،الكوارث كانت كثيرة في هذا العام،لكن أصعبها على بنيامين هو خبر نفي آسيا إلى كازاخستان لمدة خمسة عشر عاما

بتهمة التجسس،خطوط الخريطة تتغير،و اتجاهات الخطوط في راحة يد بنيامين تتغير بعنف.

شكل 11 حنا أرندت

في 1 سبتمبر 1939م دخل الجيش الألماني بولندا،بنيامين خرج من باريس إلى قرية تشاوكونين بالقرب من مدينة مو التي تبعد 60 كيلو متر عن باريس،أقام

هناك عند زوجة المترجم موريس بيتز ،هيلين هيسل كانت ضيفة في نفس البيت،في 9 سبتمبر تم اعتقال بنيامين،كانت فرنسا هي ملاذ الناس في أوروبا،لكنها خذلت الجميع بتقديم تنازلات لا تغتفر للفاشية،لقد كان التاريخ بلا جدوى في الوقت الحاضر ،عاش بنيامين حريصا على فهم الواقع بإستخدام ذكائه وفهمه التاريخي و السياسي لهذا الواقع،فوجد نفسه ضحية التاريخ و السياسة،ضحية البحث عن واقع تعيش فيه المثل العليا الماركسية،كتب بنيامين:"وحدها الاشتراكية الوطنية من استطاعت فرض المثل العليا للغروندريسة،وحدها من منح الدفء و الضياء لعالم تلك الفترة"،كانت الغروندريسة نشرت لأول مرة بلغتها الأصلية الألمانية عام 1939م،و قد اطلع بنيامين عليها و عمق ما في الغروندريسة من أفكار شعوره بماركسيته،لقد عرف بنيامين كيف تخلت برجوازية الطبقى الوسطى عن السلطة و فتحت الطريق أمام الرأسمالية الاحتكارية،المثقف الوحيد في العالم الذي نبه إلى الفرق بين تقدم الاجتماعي الوهمي،و التقدم الاجتماعي الفعلي هو بنيامين،لكن هذا المثقف كان معتقلا في ستاد دي كولومبس،الذي لا يكفي الجزء المسقوف منه إلا لعدد قليل من السجناء،يعيشون على البطاطا و الخبز ،وتم إجبارهم لبناء مرحاض مؤقت،جسم بنيامين لم يكن ليتحمل كل هذا العناء،و كان على وشك الموت عندما قام شاب يدعى ماكس أرون بمساعدته وقدم له الرعاية اللازمة،بعدها تم نقله ومعه 300 شخص إلى معتقل دوستيرليتز ثم إلى نيفر ،وهناك تم إجبارهم على السير ساعات حتى يصلوا إلى قصر شاتو دو فيرنوش المهجور ،هناك ناموا

على الأرض دون غطاء يحميهم من البرد،بعد الاستقرار في المعتقل الجديد ساهم بنيامين في رفع ثقافة المعتقلين عن طريق إلقاء بعض المحاضرات،إحدى هذه المحاضرات كانت عن "مفهوم الذنب"،وجمع بعض الكتَّاب و المحررين من المعتقل لإصدار نشرة داخلية،و هم بالمقابل كانوا يمدونه بالسجائر،ويلعبون معه الشطرنج،كان على اتصال بالأصدقاء و معهد البحوث الاجتماعية عن طريق الرسائل،كان يكتبها بالفرنسية حتى يتمكن الرقيب من قراءتها،كان لخبر نشر مقاله عن بودلير في نهاية سبتمبر أثر كبير على معنوياته،تم إطلاق سراح بنيامين في 16 نوفمبر بضغط من أدريان مونييه و الدبلوماسي هنري هوبنوت صديق مونييه،و في 25 سبتمبر عاد إلى باريس،كان قد اشتاق إلى المكتبة و قال عنها:"لا شيء في العالم يمكن أن يحل محل المكتبة الوطنية في باريس"،كان معزولا بسبب خروج الكثير من الأصدقاء من باريس،فضل البقاء في البيت و قراءة كتاب غاستون بشلار عن لوتريامون،كان بنيامين يراقب الصفقة بين الديمقراطية و المؤسسات السياسية و الرأسمالية،فكتب قائلا:"إن موضوع المعرفة التاريخية هو الطبقة المضطهدة و المضطهِدة لنفسها"،كان أصدقاء بنيامين من الخارج ينصحونه بالخروج من باريس،كان يشعر بأنه سيغادر هذه المرة مكانا يحبه بعد برلين،لكن جريتيل أدورنو حسمت الأمر و أمرته بالخروج و تعلم الانجليزية فورا،في 17 نوفمبر قدم رازوفسكي طلب تأشيرة لبنجامين إلى القنصل

الأمريكي في باريس،كانت دورا قد تزوجت من رجل أعمال من جنوب أفريقيا،وقد قابلت بنيامين مرتين و هي في طريقها من سان ريمو إلى لندن حيث ستيفان و زوجها،في أحد هذه المرات كان معها زوجها الذي قدمته إلى بنيامين كصديق،كانت هذه المرة الأخيرة التي تقابل فيها بنيامين،بعث بنيامين رسالة إلى جريتيل يخبرها فيها بسخرية أنه قد اشترى في بداية العام قناع غاز على سبيل التذكار،و ها هو يحتاج إليه أكثر من أي شيء آخر،و رسالة إلى شوليم يقول فيها:"إن أكبر انتصار قد حققته على الفاشية هو نشر مقال "عن بعض الزخارف في شعر بودلير"،و بدأ يكتب مقاله "حول مفهوم التاريخ" و هو خلاصة فهم بنيامين للتاريخ خلال عشرين عاما،صديقه و مترجم أعماله بيير كلوسوسكي مر عليه و هو في طريقه إلى بوردو و طلب منه التعجيل بالرحيل،تدهورت حالته الصحية و أصبح يعاني من ضغط الدم و توسع في شرايين القلب،لهذا طلب المساعدة من هوركهايمر،فبعث إليه المعهد 1000 فرنك للمساعدة،ومع بداية الربيع بدأ أخذ دروس في الإنجليزية و معه حنا أرندت و زوجها بلوشر،الذي تم القبض عليه و ترحيله إلى معسكر الاعتقال،في الحملة الجديدة بعد هجوم الجيوش الألمانية على هولندا و بلجيكا،لكن بنيامين نجا و معه كراكور من هذه الحملة.

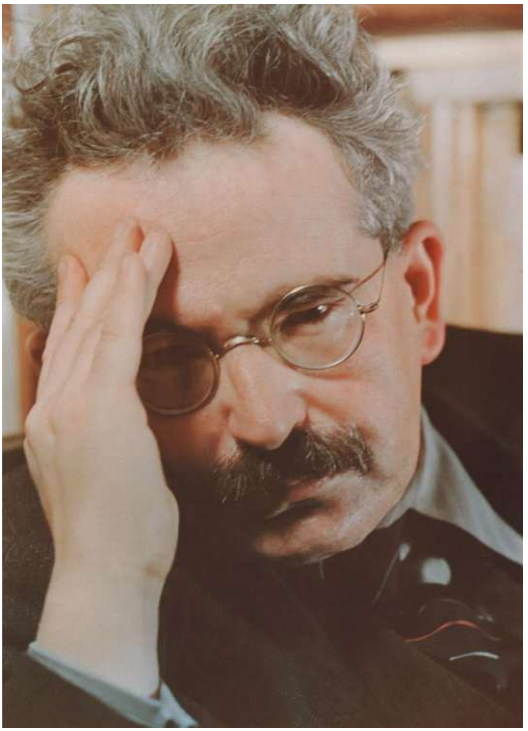

شكل 12 فالتير بنيامين

في بداية مايو قام بنيامين بتفريغ شقته،أخذ الأوراق المهمة و لوحة ملاك التاريخ و ذهب بها إلى باتاي بالمكتبة الوطنية،وجد باتاي في انتظاره و معه أثنين من أمناء المكتبة جاهزين للعمل،كانت الأوراق التي مع بنيامين هي :مخطوط "مشروع الممرات"،مخطوط "الطفولة في برلين"،مخطوط "العمل الفني في عصر

إعادة إنتاجه تكنولوجيا"،مخطوط "حول مفهوم التاريخ"،مخطوط "المؤلف كمنتج"،مخطوط فيه بعض القصص و تعليقات على بريخت و مجموعة رسائل،طلب بنيامين من باتاي صرف الأمناء،بعد خروجهم،طلب بنيامين من باتاي إخفاء مخطوط "مشروع الممرات"بعيدا عن نظر الجميع بمن فيهم الأمناء،قال لباتاي وهو ينظر إلى آخر نسخة كتبها في عام 1938م:"في هذا الكتاب فضح للرأسمالية و هيكل الحداثة"،و قرر في آخر لحظة أخذ مخطوط "الطفولة في برلين" معه،وطلب من باتاي الاحتفاظ بلوحة ملاك التاريخ بشكل شخصي،كان باتاي يشعر بالمسؤولية تجاه بنيامين،و هذا الأخير قد أعجبه كثيرا الطريقة الأمينة التي تصرف بها مع مخطوط كوليت بينو،من بين كل الناس في باريس اختار بنيامين باتاي ليضع بين يديه مشروع عمره و هو "مشروع الممرات"،لقد كان التزام باتاي تجاه أصدقائه معروف في الأوساط الثقافية،و لديه مع باتاي صداقة فكرية و اتفاق في كثير من النقاط،إضافة إلى الثقة غير المحدودة بين باتاي و بيير كلوسوسكي،في نهاية اغسطس 1940م أقام بنيامين حفل صغير لتوديع الأصدقاء،و كانت دورا التي خرجت من معسكر اعتقال غروس مؤخرا و بعض أصدقاء بنيامين قد جهزوا له مكان على قطار يأخذ اللاجئين من المدينة إلى الجنوب،يمر القطار بجبال البرناس ليصل إلى مكان قريب من الحدود للعبور إلى اسبانيا،ومنها إلى أمريكا،كان مع بنيامين 70 دولارا و 500 فرنك،وحقيبة سوداء فيها جواز سفره و مخطوط "الطفولة في برلين" و بعض الوصفات الطبية،نظارته

الطبية في حالة مزرية،ساعة جيب،بطاقة هوية صادرة في باريس،قناع الغاز ،وكتاب واحد هو مذكرات الكردينال ريتس، أقام كل اللاجئين في قرية صغيرة لأسابيع،بعدها كان على بنيامين السير في طريق المهربين،هذه الطريق كان يستخدمها الشيوعيين أيام الحرب الأهلية،كان يأمل أن يعبر بطريقة غير شرعية،لأنه لم يأخذ تصريحا بالسفر خارج فرنسا،و عندما وصل إلى بورت بو على الحدود كانت هناك نقطة تفتيش،تم منعه من السفر ،و وضع في فندق "فرنسا" تحت الحراسة إلى حين ترحيله إلى باريس،جلس في الغرفة و كتب بعض الرسائل،كان قد قرر الانتحار و وضع نهاية لكل هذا العذاب،حول إجراء بعض الاتصالات بعدها أخذ جرعة كبيرة من المورفين،مات في الساعة العاشرة مساء يوم 26 سبتمبر عام 1940م،و في اليوم الثاني فتحت الحدود و دخل كل من كان مع بنيامين إلى اسبانيا،باتاي كان قد أخذ معه لوحة ملاك التاريخ و مخطوط "مشروع الممرات" إلى البيت،و وضعها في مكان أمين،و بعد نهاية الحرب أرسل لوحة ملاك التاريخ إلى أدورنو كما طلب بنيامين منه،و بعد موت أدورنو حصل عليها شوليم في عام 1969م،أما مشروع الممرات فقد كان عند أرملة باتاي ديان بيوارنايس التي تزوجها عام 1946م،وانجبت له ابنته جولي،كان محرر بنيامين الفيلسوف الايطالي جورجيو أغامبين يبحث في أرشيف بنيامين الخاص في المكتبة الوطنية،وقد وجد كل المخطوطات التي تركها بنيامين عنده،لكنه لم يجد مخطوط

"مشروع الممرات" و هو ما كان يبحث عنه،عندما سمعت ديان بذلك حضرت إلى المكتبة و سلمت له المخطوط،نشر كتاب "مشروع الممرات" لأول مرة عام 1981م،لقد كان باتاي هو خيط أريان بالنسبة لبنيامين،وصل عن طريقه "مشروع الممرات" إلى أصدقاء مستقبليين كان بنيامين يكتب لهم هم بالذات،فقد مات بنيامين دون أن يلاحظ أحد موته،و قيل في الصحف عن أعظم ناقد في القرن العشرين:"مات اليوم ناقد ألماني غير شهير"،لم يلاحظ حتى أقرب أصدقاؤه موته إلا بعد وقت طويل من حدوثه،يكفي أن نعرف أن بريخت لم يعلم بموته إلا عام 1941م أي بعد مرور عام كامل.